الإسلام دين العمل

عطيه صقر



العدد الثامن عشر

وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة

اهداءات ٢٠٠١

كتب إسلامية
يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وزارة الأوقاف

الإسلام
دين العمل

عطيه صقر

« ١٨ »
السنة الثانية
١٥ من المحرم ١٣٨٢ هـ
١٨ من يونيـة ١٩٦٢ م

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة



مطابع شركة الاعلانات الشرقية

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ »

صدق الله العظيم

« اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ »

(حديث شريف)

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين •

أما بعـــد :

فان الأكاذيب التى أطلقها الملحدون والماديون ، يحملون بهـا على الأديان والقيم الروحية ، لأنها فى نظرهم مخدرة للشـــعوب ، مميتة فيهم روح العمل والجد والتطور ، ويتهمون الاســـلام بأنه يحبب فى الزهد والخمول والقناعة ، وينعى على الدنيا ومتاعها ، ويعيب السعى فيها والتكاثر منها ، وبالتالى لا يصح أن يكون دينا فى هذا العصر الذى خطت فيه المدنية خطوات واسعة ، لم تسعها رحاب الأرض فتطلبت لها ميدانا فى السماء •

وان اهتمام ثورتنا العربية بالعمل والعمال ، وعملها الدائب المتواصل على زيادة الانتاج ورفع مستوى المعيشـة بين جميـع الأفراد ، وايجاد الفرص للنهوض بالطبقة الكادحة ، التى تقوم على أكتافها نهضة الوطن وتقـــدمه ، واتجاهها العام نحو الاصـــلاح الشامل لجميع مرافق الدولة •

وان يقينى أن النهضة تقوم على دعامتين أساسيتين همـــا : العلم والعمل •

الأول يشرع ويفتح المجالات ·

والثانى يطبق وينفذ ما وصل اليه العلم ·

دفعنى كل أولئك الى نشر هذا البحث أفند به مزاعم المغرضين، وأبث به روح النشاط فى نفوس المواطنين ، وأحببهم فى العمل والانتاج ، وأبصرهم بالطريق السوى لبناء نهضة وطيدة الأركان ، متينة الأساس ، لنصل بذلك ، من أقرب الطرق وأيسرهـــا ، الى حياة حرة كريمة ، تليق بالعرب وتاريخهم المجيد ، وبمن ينتمون الى هذا الدين القويم ، مبينا أثر العمل فى نهضة الشعوب ، ومنزلة العامل فى قومه وعند ربه ، وانصاف الاسلام للمجاهدين المكافحين مفندا تلك الشبه والمزاعم التى أقعدت الجاهلين عن العمـــــل ، واسلمتهم الى حياة قنعوا فيها باليسير من الكفاف ، راضين بقضاء الله وقدره فى هذا الوضع المهين ·

وقد راعيت فى البحث وضوح الفكرة وبساطة الأسلوب ، مقدرا ظروف الكثيرين من العمال ذوى الثقافة المحدودة ، الذين يهمهم أن يعرفوا منزلتهم العالية الكريمة ، فى ظل هذا الديـــن المنصف ، الذى أعطى كل ذى حقه ، وكرم كل جهد نافع مفيد ·

وقد وجهت أكثر اهتمامى فى هذا البحث الى الناحية الدينية ناظرا الى النواحى الأخرى بقدر يسير تتضح به جوانب الفكرة ويتيسر به الفهم للجمهور ·

والله أسأل أن يجعل النفع به خالصا ، انه سميع مجيب ·

عطيه صقر

رسالة الإسلام

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين . »

« قرآن كريم »

جاء الاسلام بمبادئه السامية وتعاليمه السمحة ، ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ويهديهم الى الصراط المستقيم ، فصحح العقائد وقوم الأخلاق ، وأصلح العادات ونظم أصول الحكم ، ورسم الخطة لبناء المجتمع السليم ، الذى تتكافأ فيه الفرص وتتعاون الجهود لخير الجميع . فامتد سلطانه فى الشرق والغرب، وانتشر أتباعه فى كل مكان ، يحملون هدايته الى أطراف العالم ، يبنون ويعمرون ، ويعلمون ويؤدبون ، فى حركة دائبة وسعى متواصل ، ونشاط منقطع النظير ، **شعارهم فى ذلك اصلاح الدين والدنيا ، والتوفيق بين مطالب الروح والجسد ، والأخذ بيد الناس الى ما يريد لهم الاسلام من خير وسعادة ، فكان من أثر ذلك تلك النهضة المثالية الخالدة ، التى لم تر البشرية لها مثيلا فى التاريخ .**

ذلك فى الوقت الذى كانت فيه وأوروبا قبائل متوحشة ، ومجتمعات مفككة متنافرة ، تتحكم فيها الأهواء ، وتتسلط على عقولها الأوهام والضلالات ، ويسومها الخسف ديكتاتوريون عاشوا لأنفسهم فقط ، فاستعبدوا الضعاف وأماتوا فيهم مثل

الخير . ولم يخفف من هذا الوضع تلك السلطة الروحيـــة التي زوت الناس عن الدنيا ، وحرمت عليهم كل نشاط لعمارتهـــا ونهضتها ، وأعلنت فيهم أن الغني لا يدخل ملكوت الســموات ، فحبست الناس في سجن مظلم من الأفكار الخاطئة ، واعتبرت كل من يتذمر على هذا الوضع ، ويفكر في الانطلاق الى بحبوحة الحرية الواسعة ، في الفكر والعمل والكفاح ، اعتبرته زنديقـــا جزاؤه الحرمان مما ينعم به الأذلاء المستضعفون .

ولم تنفك عقولهم من هذا الأمر ، ولم تنطلق طاقاتهم من ربقة هذا التحكم ، الا بعد أن احتكوا بالمســلمين في الأندلس، ورأوا ما يتمتعون به من مباهج الحياة الدنيا ، الى جانب حفاظهم عــلى الدين . وبهرتهم تلك الحضارة التي شملت جميـــع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والسياسية . كما أن الحمــلات الصليبية على البلاد الاسلامية أتاحت لهم الفرصة ليلمســوا عن قرب وجوه النهضة في هذه البلاد ، وعوامل القوة التي رفعتها الى القمة ، وجعلتها صاحبة السلطان طوال فترة كبيرة من التاريخ .

وعلى أثر هذا كانت نهضة الغرب الذي تحرر من قيـــوده ؛ وتخلص من أوهامه ، وخرج من عزلته ، وانطلق في نهم الى الحياة يضرب في كل مكان ، ويغزو كل ميدان ، فكانت حركة الاصــلاح والاكتشاف والاختراع ، وكان الانتقــام من السلطة الروحية التى تحكمت في عقولهم وطاقاتهم آمادا طويلة ، فانزوت في دائـــرة ضيقة ، بعيدة عن رحاب السلطة الزمنية الواسعة .

وجاء الغرب بعد ذلك بقوته وعتاده ، وافكاره وأســاليبه ، وأخلاقه وعاداته ـ جاء ليثأر من الشرق الذي علمه وألهمـــه ، فتنافست دوله في الاستعمار الذي مزق أوصال الأمة الاسلامية ، ووضع يده على مقدرات هذه البقية الزاخرة بأنواع الخير والنعيم. وظل المسلمون فترة طويلة من الزمن يتحكم فيهـــم الأجانب ،

ويستنزفون ثروتهم ، محكمين السدود حولهم ، ومعرقلين كل جهود لاصلاح شأنهم .

وفى غمرة هذا البؤس وهت صلة المسلمين بدينهم ، وخيم الجهل على عقولهم ، وفشت فيهم مبادىء لا تمت الى الدين بصلة ، ولا تتفق والمنطق السليم فى أية ناحية . تولى كبرها بعض الجهال الذين اندسوا وسط العامة يحببون اليهم الرضا بالقضاء ، ويزينون لهم القناعة والزهد والاستسلام ، مما أطال أمد استعمار الأجانب لهذه البلاد التى كانت لهم مزرعة خصبة وبقرة حلوبا ، والتى نزح اليها كثير من الجاليات ، فملكت زمام الثروة ووضعت أصبعها فى كل مرفق من مرافق الحياة ، واستغلوا كل مادة أولية ، حتى الأرواث والدماء والمخلفات التى جعلوا منها مواد كيماوية وعقاقير طبية ، باعوها لنا بأغلى الأثمان ، مكافأة لنا على قناعتنا بفتات المائدة ، ورضانا بهذا الوضع الذليل المهين .

وقد تنبهت الشعوب الشرقية أخيرا الى هذه الحقيقة ، فقاموا بهذه الانتفاضات الثائرة ، التى حطموا بها القيود وكسروا الأغلال واستردوا حقهم المسلوب . وبدت بها بشائر نهضة جديدة شاملة لجميع النواحى ، استعدادا لاستقبال عهد جديد ترفرف عليه أعلام الحرية ويشيع بين جنباته الرخاء .

عوامل الضعف والتخلف

يمكننا أن نرجع عوامل الضعف والتخلف الذى ساد البلاد الاسلامية قبل الحركات التحررية الأخيرة – الى عدة عوامل خارجية وداخلية تتصل بالسياسة والبيئة وبالطبيعة الانسانية ، كما كان لسوء فهم الدين دخل كبير فى هذه الأوضاع الشاذة ، وسأتناول بشيء من التفصيل بيان بعض هذه العوامل ، ليمكن على ضوء التشخيص للداء أن نصف الدواء ، ويهمنى من هذه العوامل أربعة

الإستعمار ، والبيئة ، والطبيعة الانسانية ، والجهل بالدين .

الاستعمار :

كان للاستعمار أثره السيىء على الحالة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها ويتضح ذلك فيما يلى :

١ – عرقلة كل مجهود يراد منه تحسين حال الشعب المغلوب على أمره ، وصرفه عن استغلال موارده الطبيعية من الوجهة الصناعية ، وصبغ التعليم والثقافة بصبغة استعمارية ، تظهر فيها حاجة الشعب الدائمة الى المستعمر ، وقصور امكانيات الوطن عن الوفاء بحاجة أهله ، وعدم صلاحية البيئة لقيام نهضة صناعية ، حتى يظل الشعب دائما فى حاجة الى منتجات المستعمرين التى أغرقوا بها الأسواق ، من ضروريات وكماليات ، يتحول بها النقد

المحلى الى البلاد الأجنبية ، ويظل الشعب فى فقر دائم . ذلك فى الوقت الذى يشنجعون فيه جالياتهم ومن والاهم ، على استغلال مواردنا التى أعموا عنها أبصارنا ، ووضعوا السدود والحواجز دون استفادتنا منها ، وقصروا جهودنا على الزراعة التى لم يولوها العناية الا بالقدر الذى يراد منه الربح لهم ، مع اهمالهم لشأن الفلاحين وتركهم فريسة للأمراض ، ووصفهم بصفات مسترذلة ، تبغض لهم عملهم وتجعلهم يفكرون فى هجر المورد الذى عاشوا عليه وحده طوال تلك السنين .

٢ ـ **خلق طبقة من الموظفين** : علموهم تعليما نظريا بدرجة محدودة ، ليتولوا وظائف الدولة ، وينفذوا سياستهم الاستعمارية وعدم العناية بالتعليم المهنى الا بالقدر الضرورى الذى يجدونه محققا لأغراضهم الاستغلالية . وخلقهم هوة سحيقة بين الطبقة الموظفة والطبقة الكادحة العاملة ، التى كانت ترى فى الموظف مثلها الأعلى ، وتتمنى لو تتاح لها الفرصة لتكون هى الأخرى من ذوى المكاتب والكراسى والزى النظيف والراتب المضمون فى مواعيده المحددة المضبوطة . وتولد من هذا شعور بازدراء العمل ، وانتقاص لهذه الطبقة الكادحة التى كتب عليها أن تظل فى هذا الوضع الذى لا يعرف قدره الا العاقلون .

٣ ـ **والى جانب هذه الطبقة المنعمة وجدت طبقة من الملاك الارستقراطيين** ، وأطلق لهم الاستعمار الحرية فى تسخير العمال وارهاقهم واغتصاب حقوقهم ، فى مقابل أداء ما التزم به الملتزمون للسادة الحكام . مما ترتب عايه النفور من العمل ، والهرب من وجه الطغاة المستبدين الذين يضيعون جهود الفلاحين ، ويستأثرون بانتاجهم الذى بذلوا فى الحصول عليه العرق والدموع . وكانت نتيجة ذلك بوار كثير من الأراضى ، وتعطل كثير من الذين لم يجدوا من ينصفهم ، وهذان مظهران من أكبر مظاهر سوء الحالة الاقتصادية فى أى بلد .

٤ ـ كبت حرية الناس في التفكير من التخلص من هذا الوضع المزرى ، ومنع التحدث فى القضايا السياسية والأمور الوطنية ..
وخلق لفظ مرعب سله المستعمرون سيفا مصلتا يرهبون به المثقفين وذوى الأفكار الحرة والمتعلمين والموظفين ، الذين يرونهم مظنة لحمل الشعلة لتوجيه المواطنين . ذلك هو لفظ « **السياسة** » الذى لا يحدد معناه الا واضعوه ، ولا يعرف جزئياته الا من يتحكمون فى الشعب واتجاهه وتفكيره ، فحرموا على الطلاب والموظفين الاشتغال بالسياسة ، وأخذوا عليهم التعهدات والضمانات ، ووضعوا العقوبات لمن يفكر فى المسائل العامة التى تمس مصلحة المجموع ، وحبسوا الناس فى سجن من الرهبة والذلة والعبودية .

وكان من الواضح أن يحرموا على علماء الدين الذين شهدوا مواقفهم الوطنية فى تاريخ البلاد ، وقيادتهم للشعب فى كل حركة اصلاحية ـ يحرموا عليهم التحدث فى « السياسة » فقصروا نشاطهم على الناحية الدينية الخالصة ، كاقامة الصلوات بين جدران المساجد وما هو على شاكلتها ، من كل عمل بعيد عن ميدان الحياة العامة . بل حرموهم مناصب الدولة وخلقوا شعورا من الوحشة والنفور بينهم وبين المدنيين ، الذين تربوا فى مدارسهم وولوهم وظائفهم ، وحقروا شأن الدين وعلمائه لينصرف الناس عن هذا النوع من التعليم الذى يحمل فىّ طياته معانى الحرية والعزة والسيادة والكرامة والشرف والاباء ، تلك المعانى التى تقض مضاجع المستعمرين ، وتقع ألفاظها على مسامعهم موقع القنابل والمفرقعات .

٥ ـ تخدير أعصاب الشعب ، ومدح المسلمين بصفات مغرية يطرب لها الجهلاء ، وهى فى حقيقتها سخرية واستهزاء ، يصفهم المستعمرون بأنهم قوم قانعون ، يرضون بالقليل ويحمدون الله عليه ، لا تهمهم الدنيا ولا يحرصون على المادة ، يعنبون بالروح

ويجتهدون فى العبادة ولزوم المساجد ، فتفعل هذه الكلمات فى نفوس اليسطاء فعل السحر ، فيستنيمون للكسل ، ويحرصون على أن يكونوا فى هذه المعانى موضع اعجاب سادتهم ومالكى أمرهم ويتركون الدنيا وخيراتها نهبا للذئاب المتنمرة ، من الجاليات الوافدة على البلاد طريدة مشردة جائعة ، وانصرفوا بما معهم من قليل الى بيوت اللهو وأماكن الفجور - التى وضعها المستعمرون شباكا لاصطياد الفريسة ، واماتة الشعور الوطنى ، وافساد أخلاق الشباب ، وصرفه عن التفكير فى مصيره .

ولقد كانت نغمة هذا التخدير هى طابع الاستعمار فى جميع صوره وأشكاله وميادينه ، فجند الدعاة من المبشرين وأذناب المستعمرين ، وكلفهم بالاندماج فى الشعب وغرس هذه البذور فى نفوسه ، ودأب هؤلاء الدجالون على سقى المساكين بهذه الجرعات السامة ، حتى أفقدتهم الحس وأماتت فيهم الوعى ، وأصبحوا غثاء لا تفخر بهم أمة ولا يسعد بهم جيل .

والى وقت قريب جدا لم يتنبه أكثر الناس الى هذه الخدع حتى المثقفين منهم ، اللهم الا بعضا من أحرار الفكر ، الذين كانوا ينظرون من بعيد الى السحب الكثيفة المتجمعة فى الأفق ، فيحذرون الناس من الصواعق التى تحملها هذه السياسة الملتوية ، مبينين لهم أنها ليست عارضا ممطرا ، بل هى ريح فيها عذاب أليم ، تدمر كل شىء وتأتى على كل حى .

قام أولئك الأحرار وردوا على هؤلاء الدجالين أباطيلهم التى ألصقوها بالاسلام ، والتى زعموا بها أنه دين استسلام ورضا وقناعة وعزوف عن الدنيا وايثار للأخرى بالمعنى الذى يفهمون .

وقد تنبه بحمد الله كثير من الدول الاسلامية الى هذه السياسة الاستعمارية ، التى ترمى الى تجويع الشعوب والقضاء عليها بالتدريج ، فقامت ــ بفضل الوعى السياسى والثقافى ــ

صيحات من كل جانب تدعو الى العمل ومتـــابعة الجهود لزيادة الانتاج وغزو جميع الميادين الاقتصادية ، والأخذ بكل الأســـباب التى تنهض بالبلاد من نواحيها المختلفة •

وكان من أقوى هذه الصيحات صيحة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ التى أطلقها الثوار الأحرار للقضاء على الأوضاع الفاسدة والسـير بالأمة العربية الى المكانة التى تليق بهـــا وبأمجادها العظيمـــة ورسالتها الانسانية الخالدة •

وبهذا يتضح لك أيها القارىء أن الدور الذى لعبه الاستعمار فى تخلف البلاد الاقتصادى والاجتماعى ، والثقافى والسياسى . لا يعدله أى دور مهما كان •

البيئة :

يقول خبراء الاقتصاد : ان أكثر البلاد الاسلامية تقـــــوم اقتصادياتها على الزراعة ، وقد لوحـــظ أن الزراع يكتفون من أراضيهم بالانتاج الأولى ، دون حاجة الى التفكير فى استثمار هذا الانتاج فى الصناعة ، كما تفعل بعض الدول فى أوربا •

والأرض بثروتها النباتية والحيوانية لا تكفى وحـدها للوفاء بمطالب الحياة ، خصوصا فى هذا العصر الذى تنوعت فيـه تلك المطالب ، واتسعت فيه الآفاق التى تحتاج الى المال الكثير • فلا بد من خلق مجالات اقتصادية أخرى ، ووجوه استثمار تستخدم فيها هذه المواد الأولية المتوافرة •

وهذه البيئة جعلت كثيرا من الناس لا يفكر فى الهجرة ، بل ظل ملازما لأرضه ، يعيش ويتناسل ويموت فى بقعـــة محدودة ألفها أجداده مئات السنين ، يعز عليه أن يفارقها الى بيئـة أخرى أو ميدان آخر ، فى وطنه نفسه أو فى وطن آخر • لأنـه يرى فى

الأسهم القليلة التى ورثها ، والتى تشاركه فيها أسرة ضــــخمة ، يرى فيها أمه التى تحنو عليه وتغذيه وتوفر له الأمن والراحـــة والسكون ٠

وهذا الشعور اذا استولى على انسان أقعده عن طلاب الخير ، وفوت عليه كثيرا من الفرص ، التى قد تكون ميسرة له لو أنه وجه اليها همه وأولاها عنايته ، وكان من اثر ذلك تكاثف السكان فى بعض الجهات ، وعدم كفاية الانتاج للوفاء بحاجتهم ٠

وقد ذكرنى هذا ما أشار به قادة المسلمين الذين فتحوا مصر ، على الجند ألا ينزلوا الريف بعد استيلائهم على الحصـــون ، حتى لا تعجبهم نضرته وخيراته ، فيغريهم ذلك بالاقامة فيه للاستجمام، الذى قد يطول أمده فيصرفهم عن النهوض لمتابعة الجهاد والفتـــح فى هذه القارة الواسعة ٠

ولو كان طابع الصناعة غالبا فى المحيط الاسلامى لهان عـــلى المسلمين التنقل فى طول البلاد وعرضها ، والهجرة الى مواطـــن الخير فى جنبات الأرض التى لا تنفد مواردها ٠ ذلك أن مزرعـة الصانع هى يده ، ورأس ماله فنه وأدواته ، يستطيع أن يكسب قوته أينما حل ، ولم تعد مفارقة مسقط رأسه صعبة على نفسه ، لأن الذى ربطه به هو المعنى الذى أملته ظروف البيئة الزراعيـة ، وهذا المعنى المستمد من وحى الصناعة موجود فى كل مكان ، اذ سنجد الصانع فى تنقله أهلا بدل الأهل ، واخوانا بدل الاخوان ، وقد يكون فى وسطه الجديد أرغد عيشا وأهنأ بالا « صنعة فى اليد أمان من الفقر » ٠

الطبيعة الانسانية :

الانسان بطبعه ميال للراحة مؤثر للسلامة ، يخشى المغامرة ، ويرهب العواقب ، انه يفضل العيش البســيط الذى لا يكلفـــه

جهدا ومشقة ، ويود لو عاش منزويا بعيدا عن صخب العـــالم وضجيجه ، ولو تمكن هذا الشعور من شخص أغراه بالتقاعـــد وتطور الى كسل ، وسول له شيطانه وهواه أن يعيش كلا عـــلى حساب غيره ، ولا يرى بأسا فى مد يده يتكفف ويستجدى ..
ويقوى ذلك المعنى فى نفسه ما يحيط به من عوامل أخرى تحبب اليه الكسل والانزواء ، وتكره اليه المجاهدة والكفاح . ولئن طاف بخياله أن يكسب قوته بعمله ، رأيناه يؤثر العمل السهل البسيط الذى لا يرهقه فى جهد أو مال ، انه يفضل مثلا أن يتاجر كما تاجر فلان ليثرى مثله ، فيتاجر فى البضاعة نفسها ، وينافسه غـيره أيضا فى هذا النوع من التجارة ، ويغرى ذلك كثيرين بالنزول الى الميدان بالسلاح نفسه وفى الاتجاه ذاته ، فيتزاحم المتنافســون ويكثر المصطرعون ، وتكون النتيجة كثرة العـرض وقلة الطلب ، وذلك هو مظهر اختلال الميزان التجارى الذى لا يحقق فائدة لا للفرد ولا للأمة .

والكسل داء وبيل يقضى على المواهب ويفوت الفرص ، ويجلب الهم ويسلم الى الأفكار العقيمة ، ويخلق فى نفس صاحبه الاستسلام والتواكل ، وأمة يكون هذا شأن أبنائها تكون ميدانا مفتوحا لكل دخيل ، نهبا لكل غاصب ، غرضا لكل مستعمر .

الجهل بالدين :

من العوامل ذات الأثر الفعال فى سوء الحالة الاقتصـادية فى البلاد الاسلامية جهل الناس بالدين ، وسوء فهمهم لمبادئه وأهدافه، فقد مرت عليهم فترة طويلة انقطعت أو ضعفت صلتهم بدينهم .. وانصرفت نفوسهم عن تعلم مبادئه ، فكثر فيهـم الجهل وانتشرت بينهم **الأباطيل والضلالات** . وغزتهم المدنية الغربية بسلاحهـــا وأفكارها ومبتكراتها ، فجذبت نفوسهم اليها ولم يتنبهوا الى أنها حراب مسمومة مصوبة الى عقائدهم وتقاليدهم .

وفى غمرة هذا الجهل سادت بينهم فكر لا تمت الى الديـــن بصلة ، من أخطرها على الفرد والمجتمع فكرة التوكل على الله بمعنى غير معناه الصحيح ، ووجوب الزهد فى الدنيا والبعد عن زخرفها وعدم الاطمئنان اليها ، وتفضيل العزلة والانزواء والاستعداد للموت وتذكر أهوال القبر وما بعد القبر ، لا يهتمون من القرآن الا بمثل قوله تعالى :

« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون • ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » •
وبمثل قوله تعالى « وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها » ، ويطربون لسماع قول النبى ــ صلى الله عليه وسلم : **« لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصـــــا وتروح بطانا » ، وقوله : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » •**

وتستهويهم آيات الزهد وأحاديث ذم الدنيا والشـــعر الذى يدور حول هذا الغرض ويحمل هذا الطابع ، والذى أجاد حفظـه وانشاده المتسولون والمتواكلون • ولقد كانت الخطب المنبرية التى وضعت فى ذلك العهد صورة معبرة تنعكس عـــلى مرآتها أفكار المسلمين فى فترة الجهل والضعف ، وتصور الاتجاه العام والمصير الذى استولى منهم على قسط كبير من التفكير • وما تزال هـــذه الدواوين محببة الى نفوس القرويين الذين هم بقية من آثار ذلك الجيـــل •

فهم المسلمون هذا الفهم الخاطىء فى الدين ، ونسوا ما يفسر هذه النصوص ويبين المراد منها ، ومالت نفوسهم الى تلمس الأدلة المبتورة والمعانى المجملة لتوافق مزاعمهم الباطلة • وساعد عـــلى رواج هذه الفكر ، وعلى الجهل بالدين عامة ، أن العلماء لم يكونوا فى وضع يستطيعون معه ارشـــــاد هؤلاء الملايين المنتشرين فى

الأصقاع النائية · ولم تكن وسائل الاتصال بهم ميسورة ممهدة ، فقد كانت الطبقة العاملة الممثلة فى الفلاحين · وهم أكثرية الأمة ، تعيش فى القرى بعيدة عن أماكن الثقافة الدينيـــــة وعن مراكز العلماء · **وانتهز هذه الفرصة جماعة فرضوا أنفسهم على العـــامة فرضا ، ونصبوا أنفسهم مرشـــــدين يدعون الى طـــريق الله ، فاستغلوا الناس باسم الدين استغلالا سيئا** · والناس حين تيأس حالهم المادية والاجتماعية يلجؤون الى الدين يرون فيـــــه سكنا لنفوسهم يعوضهم ما فقدوه من متاع ونعيم · فنزل الى الميـــدان كثير من المرتزقة بالوراثة ، ليســـــوا على شىء من علم أو خلق ، واندمجوا فى هذه الأوساط يلقنون الناس مبادىء الدين كمـــــا فهموه ، ويحببون اليهم الرضا والتسليم والزهد والقنـــاعة ، ويذمون الدنيا بكل لسان ، ويمدحون الفقر والتـــوكل ، مرددين أشعارا تطفىء حرارة الجد فى نفوسهم ·

ويقصون لهم قصصا عن المتوكلين الذين انقطعوا للعبـــــادة ولازموا المســـاجد وذكر الله ، فأتت اليهم أرزاقهـــــم من حيث لا يحتسبون · واذا سمع الرجل الساذج أمثال هذه القصص زاد تعلقه بشيخه ، وأقبل على حلق الذكر ، ونفر من الاستجابة لمطالب الحياة والتزامات من ألقى الله على كاهله عبء رعايتهم · فمـــا حاجتهم الى التعب والله ذو الفضل العظيم ؟

ولم لا يجدون فى الذكر ليصـــلوا الى ما وصل اليـــــه ذوو الكرامات وخوارق العادات ، الذين تأتيهم أرزاقهم من السماء دون عنـــاء ؟

هؤلاء الداعون كانوا فى نظر الناس أشباه آلهـــة ، يتبركون بآثارهم ، ويتنافسون فى خدمتهم ، ويتسابقون الى كسب رضاهم، ينظرون الى كلامهم كنص دينى لا بد أن يتبع ، والى شطحاتهـــم كرموز غيب سوف يقع ، والى الأوراد التى حفظوها كقرآن منزل ،

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والى الطقوس التى علموها كعبادة محكمة ، الويل لمن يفرط فيها أو يعترض عليها .

هؤلاء المرتزقة وأشباههم - وما أكثرهم - كانوا نكبة على المجتمع ، شجعهم الاستعمار وسهل لهم السبل ليستمروا فى أداء رسالة التضليل وتشويه معالم الدين .

ويحز فى نفسى هذا الجهل المطبق الذى أعمى أبصار البسطاء السذج الذين يسيرون فى ركاب هؤلاء المرشدين ، كيف يصدقون ما يضللون به من زهد وقناعة وعدم ارهاق النفس فى تحصيل الأرزاق ؟ مع أنهم لو نظروا نظرة بسيطة اليهم لرأوا أنهم يتمتعون بالدنيا أكبر تمتع ، يأكلون لذيذ الطعام ويلبسون فاخر الثياب ، ويملكون الأطيان والعقارات ، ولم ينالوا هذا بالنوم والكسل والتواكل ، بل بالسعى والتنقل والضرب فى جنبات الأرض ، وسهر الليالى فى القرى لترويج بضاعتهم ، وتحصيل الضرائب التى فرضوها على المساكين « **عادة لا تنقطع** » فى كل عام .

لست بهذا متجنيا ، فقد وضح أمرهم لكل ذى عينين ، ولست بهذا منتقصا قدر هذا التشكيل الذى يرعى الدعوة الى طريق الله ، ولست بصارف للناس عن ذكر الله وتهذيب النفوس ، فانى أعتقد أن الدعوة الصحيحة الى الله هى أولى الوسائل لتكميل الانسان فى حياته ، وأرجاها للوصول الى الهدف فى يسر وسهولة ، اذا حسنت قيادتها ورعاها من يفهم الدين على وجهه الصحيح ، وأخذوا أنفسهم به ولزموا أدبه . ولكن كثيرا من الدخلاء على الدعوة الى الله شوه الفكرة الدينية ، والتزم عادات وتقاليد وطقوسا أخذها علينا الأجانب مأخذ النقد والتجريح ، وبعدت بنا عن الطريق المستقيم . وكانت سببا فى توجيه الاتهامات الى الدين ، وازدراء العلماء وكل من ينتمون اليه .

ثورة الإسلام على هذه الأوضاع

عرفت أن الاسلام جاء بمبادىء حكيمة لتنظيم الحياة من جميع نواحيها ، ولم يعجز عن وصف العلاج لأى مرض من الأمراض مهما كان نوعه ومهما كانت خطورته • وفيما يلى بعض ما عثرنا عليـــه فى خزائنه من أدوية لهذه العلل تتلخص فى التركيب الآتى :

سيادة الامة وحريتها :

يقول الله تعـالى : « **ولله العزة ولرســوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** » • **ويقول سبحانه** : « **كنتم خير امة أخرجت للناس** » •

لا يرضى الله للمسلمين أن يكونوا مستعبدين أذلاء — وهم حملة أكرم رسالة ظهرت فى الوجود — يتحكم فيهم غيرهم ، ويملى ارادته عليهم ، ويوجههم كما يشاء له هواه ، بل أمرهم أن يعيشوا سادة أعزة ، يحملون مشاعل الهدى والنور الى الناس أجمعين • وحرم على المسلم أن يذل نفسه ويخنع لغيره ، وحذره من أن يســتعبده عدوه : « **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** » ، ونهــاه أن يواليه ويتودد اليه ، أو يتعاون معه ضد الاسلام والمسلمين ، أو يغتر بوعده مهما وقع فى بعض النفوس صدقه : ((**يايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمــودة وقد**

كفروا بما جاءكم من الحق »، « ان يثقفوكم يكونوا لكم أعـــداء ويبسطوا اليكم أيديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون » .. « لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون » .

وفرض الله على المسلمين الجهاد لحماية الوطن وصـد عادية المعتدين ، وتخليص الحقوق من الغاصبين ، واشاعة السـلام بين الناس وتأمين حرياتهم ، ووعد الله على الموت فى هذا السـبيل أجرا عظيما ، وآيات القرآن واحاديث الرسول ــ صلى الله عليـه وسلم ــ فى هذا المعنى كثيرة مشهورة . ويعجبنى فى هذا المقـام ما ذكره ابن هشام فى السيرة النبوية ، من أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ **أراد أن يدفع عن أهل المدينة خطر الأحزاب وجموع القبائل فى غزوة الخندق ، باعطائهم ثلث تمر المدينـــة على أن يرجعوا . ولما استشار سعد بن معاذ وسعد بن عبـادة فى ذلك قالا له : هل هذا أمر من الله ام رأى رأيته ؟ فقال : بل رأى رأيته لأكسر عنكم شوكتهم فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قـد كنا وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة الا قرى ــ ضيافة ــ أو بيعا ، أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ والله مالنا بهذا من حاجة ، لا نعطيهم الا السـيف حتى يحكم الله بيننـا وبينهـم .**

هذا موقف من مواقف البطولة والعزة والأنفة والغيرة عـلى كرامة الوطن ، تريننا الى أى حد كان المسلم الصحيح فى تعشـقه للحرية وعدم رضاه بالذل والهـوان للعدو مهما كان خطـره وجبروته .

ولهذا يجب على المسلمين جميعا أن يعملوا ــ ما وسعهـم الجهد ــ لتخليص أوطانهم من ذل الاستعمار ، حتى ينفسح لهـم مجال النهوض ببلادهم ورفع مستوى معيشتهم ، واستغلال مواردهم

بأنفسهم ، وتربية ناشـــئتهم على مبادىء الوطنية الصـــادقة الصحيحة .

سعة ميدان العمل :

يقول الله سبحانه : « **هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا**» ويقول : « **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه** » ويقول : « **هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبهـا وكلوا من رزقه** » . ويقول « **وأرض الله واسعة** » . ويقول « **وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله** » .

تفيد هذه الآية المحكمة أن فى جميع جنبات الأرض متسـعا للعباد ، وأن الرزق موجود فى كل مكان ، فى السـموات وفى الأرض ، فى البر والبحر ، وأن الله جعل كل شىء مسخرا لخدمتك ولم يقصر نشاطك على ميدان خاص ، ولم يحبسك فى دائرة ضيقة، لا تسع طموحك وآمالك وفكرك وكفاحك ، وهـو لا يرضى لك القصور والعجز ، ولا يحب منك أن تكون قادرا على الكمال ثم تحجم وتقعد ، أو أن تستطيع خدمة وطنك وبنى جنسك ثم تبخـل بما عندك من كفاية ومقدرة فى هذا السبيل ، يقول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ((**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**)) رواه مسلم .

ولهذا كان على المسلم اذا ضاق به العيش فى مكان أن يهاجر منه الى مكان آخر ، واذا أخفق فى نوع من العمل أن يجرب نوعا آخر ، يقول سبحانه : ((**ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا** ــ طرقا منوعة ــ **وسعة** » .

ويلوم من يرضى لنفسـه الذل ويعيش فقيرا مستعبدا ، مع يسر أسباب الرخاء والحرية ، فيقول : « **ان الذين توفاهم الملائكة**

ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

والهجرة من مواطن الشدة والفقر والذل الى مواطن الأمن والرخاء هى سنة الرسل وكبار الشخصيات التاريخية ، لقد هاجر ابراهيم ولوط وموسى وغيرهم ، من أجل الحياة العزيزة الكريمة ؛ وهاجر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه من القرية الظالم أهلها ، الى المدينة التى وجدوا فيها من يحبونهم ويؤثرونهم على أنفسهم ، فتمكنوا من أداء رسالتهم على الوجه الأكمل فى بيئتهم الجديدة . ولولا هجرة المسلمين فى صدر الاسلام الى الأمصار واقامة معالم المدنية فى كل مكان حلوا به لما كانت للاسلام هذه الدولة ، ولما سجل له التاريخ هذه النهضة المثالية .

ومن الاجرام فى حق الفرد والوطن أن تهجر مناطق لا تجد من يعمرها ويستغل مواردها ، بينما تئن مناطق أخرى وتضج من كثرة سكانها وعدم كفاية مواردها لسد حاجات أهلها ، ثم لا يجدون حلا لهذه المشكلة ، الا أن يلجؤوا الى وسائل هى وحى من الاستسلام للواقع المرير الذى صنعوه بأيديهم ، وذلك كتحديد النسل الذى ينادى بعض الناس بجعله تشريعا اجباريا عاما تتفادى به أزمة السكان وقلة الموارد .

ولقد أحسن كثير من أبناء البلاد العربية حين هاجروا الى الأمريكتين ، والى كثير من مناطق أفريقيا ، فعاشوا هناك عيشة كريمة ، وصارت لهم كلمة مسموعة فى الميدان الاقتصادى والسياسى والاجتماعى ، فنفعوا أنفسهم وأفادوا أوطانهم .

هذا هو الميدان الواسع ، الذى جعله الله مسرحا لنشاطك ، فاضرب فى جنبات الأرض ، وجل بقوتك وفكرك وجميع طاقاتك

فى هذه الرحاب الواسعة ، وافهم حكمة الله فى اطلاقه حين أمرك بالعمل حيث يقول : « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** » .

وقد وردت آيات عبر فيها عن العمل بصيغة التنكير لا التعريف ، مما يؤذن بعمومه أو اطلاقه كقوله تعالى : « **فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض** » .

كما وردت آيات لم يحدد فيها نوع العمل ولم يبين مجاله ولم يوصف الا بأنه « **صالح** » وكفى كقوله تعالى : « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة** » . والعمل الصالح ماستحسنته العقول السليمة ووافقت عليه الشريعة . فمجال العمل واسع وميادينه متعددة . فليعمل العاملون .

الحث على السعى والعمل :

لست أقصد بالعمل هنا نوعا معينا ، ولا ناحية خاصة منه . بل المراد به كل نشاط فكرى أو بدنى ، زراعى أو صناعى أو تجارى ، أو ما شابهه من كل ما تحتاج اليه المجموعة البشرية ، بشرط أن يكون هذا النشاط مشروعا ، يقصد منه الخير للفرد والمجتمع . ويسير فى الطريق الذى رسمه الدين .

والاسلام يريد من المسلم أن يكون عضوا عاملا فى الجماعة الانسانية ، ويحتم عليه أن يكون فى حياته ايجابيا ، يندمج فى البيئة ليفيد ويستفيد ، ويكره السلبية المتخاذلة والانكماش والانزواء عن معترك الحياة . والنصوص فى ذلك كثيرة واضحة اليك بعضها فيما يلى :

قال تعـــالى : « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورســـوله والمؤمنون** » .

أمر الله بالعمل فهو من لوازم الحياة ، ينتظره الله من ابـن آدم الذى خلقه لعمارة الكون ، وهو لا يكون بغير العمـــل أبدا ، وينتظره الرسول لأنه مبلغ عن الله ومنبـــه للناس الى واجبهم ، وسيشهد عليهم عند الله بما رآه منهم ، وينتظره المؤمنون بعضهم من بعض ، كل فى ميدانه الذى يناسبه ، لتقوى بتعاونهم رابطتهم وتسعد حياتهم ، والله سبحانه سيجازى كلا بمـــا عمل على قدر اخلاصه واجتهاده .

وقال أيضا : « **فاذا قضيت الصـــلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** » .

أمر بالانتشار فى الأرض لطلب الرزق فهو طاعة كالصلاة ، وامتن بهذا الرزق فوصفه بانه من فضل الله ، وأمرنا بمراقبتـــه والاتصال الدائم به ليهدينا الصراط المستقيم : « **واذكروا اللـــه كثيرا** » ، وبين أن السعى والعمل والمراقبة والاتصـــال به سبب الفلاح « **لعلكم تفلحون** » وهو فلاح فى الدنيا بالرخاء والقوة والأمن وفلاح فى الآخرة بالنجاة والنعيم .

وقال : « **هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور** » . ومناكب الأرض طرقها وهى أعم من أن تكون طرقا حسية يسلكها السائرون فى الأرض ، أو تكون طرائق وسبلا منوعة لالتماس الرزق كالزراعة والصناعة والتجارة وغيرها .

وقال ((**فاذا فرغت فانصب**)) ، أى اذا فرغت من العبـــادة يا محمد فجد فى تحصيل عيشك واتعب فيه .

ويقول أبو هريرة — رضى الله عنه — : « **مر رجل من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بشعب فيـــه عيينه من ماء عذبة فأعجبته فقال : لو اعتزلت الناس فاقمت فى هذا الشعب !.. ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فذكر ذلك لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : لا تفعل ، فان مقام أحدكم فى سبيل الله تعالى أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما ، الا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنـــــة ؟ اغزوا فى سبيل الله** ... » . رواه الترمذى والحاكم .

نهى النبى — صلى الله عليه وسلم — عن الانزواء ، وايثـــــار حياة العزلة والكسل ، ودعا الى الكفاح المتمثل فى الجهاد فى سبيل الله حيث كان هو المظهر الأكبر للنشـــــاط فى مبدأ الدعـــوة الاسلامية .

ويقول — صلى الله عليه وسلم — : « **على كل مسلم صدقة** » ، **قال : أرأيت ان لم يجد ؟ قال : يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق .. قال : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف قال: أرأيت ان لم يستطع قال : يأمر بالمعروف أو الخيـــــر .. قال : أرأيت ان لم يفعل ؟ قال : يمســــك عن الشر فانهـا صدقة** » .. رواه البخارى ومسلم .

وتبدو فى هذا الحديث الايجـــابية الواضحة فى حياة المسلم الحق ، فهو مكلف أن يقدم للمجموعة أى خير ، بأى جهـــد وبأى نوع ، وذلك معناه البعد بالمسلم عن الانزواء عن المجتمع وميله الى الكسل ، ووجوب اندماجه فى البيئة ونفعها بما يستطاع .

ويبين النبى — صلى الله عليه وسلم — أن مما امتن الله به على العبد الصحة والوقت . فلا بد من شكره عليهمــــا ، وذلك يكون بتوجيههما الى ما يفيد ، وهل يكون ذلك الا بالعمل الذى يعتمـــد

على القوة والوقت الكافى ، فيقول : « **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ** » ، رواه البخارى .

ويذكر لنا أن الله سيحاسب الانسان على صحته وعمره وماله وعلمه كيف استغل ذلك فى حياته الدنيا ، وهل يكون استغلالهما الطيب الا بالعمل الصالح المفيد ؟ فيقول : « **لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن علمه ماذا عمل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟** » . رواه الترمذى .

ويدعو الى التجارة ويحببها الى النفوس بقوله : « **تسعة أعشار الرزق فى التجارة** » . كما بين للصحابة أن رزقه ليس أمرا مفروضا على الناس يأتيه وهو قاعد مستريح ، بل ان رزقه هو نتيجة كفاحه وسعيه وجهاده فيقول : « **جعل رزقى تحت ظل رمحى** » رواه احمد .

ويتضح نشاط النبى – صلى الله عليه وسلم – واهتمامه بالعمل كضريبة لابد أن يؤديها الفرد للجماعة ، فى أنه كان فى سفر مع بعض الصحابة فأدركهم الجوع ، فساهم كل فرد بنوع من العمل فى تهيئة الشاة للأكل ، **ولم يشأ – صلى الله عليه وسلم – أن يجلس دون أن يشاركهم فى ذلك ، فتعهد بجمع الحطب لانضاج الطعام** . أفبعد هذا دليل على نظرة الاسلام الى قيمة العمل وأثره فى خير الأمة ؟

والاسلام حين يحث على العمل ويرغب فيه ينهى عن الكسل والعجز والتخاذل ، ويستعيذ من ذلك فهو لا يليق بالمسلم الذى انتدبه الله لأكرم رسالة فى الوجود .

دخل النبى – صلى الله عليه وسلم – ذات يوم المسجد ، فوجد أبا أمامة جالسا فيه فى غير وقت الصلاة ، فلما سأله عن السبب

قال له : ديون لزمتنى ، وهموم لحقتنى . فأفهمه النبى أن الجلوس فى المسجد والركون الى الكسل ليسا وسيلة يقضى بها الدين ويفرج الهم ، وأمره بالعمل والسعى . وكان أمره بذلك بطريقة حكيمة لبقة لا يعقلها الا العاملون . أمره أن يستعيذ بالله من الهم والحزن ومن العجز والكسل . والرسول لا يستعيذ ولا يأمر بالاستعاذة من شىء الا اذا كان مذموما مكروها لا تتحمله النفس ولا يرضى عنه الله ، فكأنه يقول له : نزه نفسك عن العجز والكسل ، وذلك لا يكون الا بالسعى والعمل ، وما دامت النية خالصة ، والطريق مشروعة ، فالله يعين العبد وييسر له السبيل ، حتى يصل الى هدفه .

يقول أبو أمامة : علمنى الرسول هذا الدعاء أدعو به كل صباح ومساء : « **اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال** » . فواظب عليه ، فاهما لمعناه ، عاملا بمقتضاه ، حتى يسر الله له الأمر ، فسدد دينه وفرج همه فى زمن قريب . رواه أبو داود .

والنبى — صلى الله عليه وسلم — يحذر من التقصير فى حق من يعولهم فيقول : « **كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت** » رواه أبو داود .

وكان عمر — رضى الله عنه — يقول :« **لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقنى ، فان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة**».

والرجل الحر الأبى لا يرضى أن يوصف بالكسل والعجز حتى فى مجرد صورتها لا فى حقيقتها ، يقول يزيد بن المهلب : ما يسرنى أنى كفيت أمر الدنيا كله ، قيل له : لماذا ؟ قال : أكره عادة العجز .

وقد صحح هشام بن عبد الملك خطأ وقع فيه عروة بن أذينة ، حين قدم مع رجال من أهل المدينة ، فلما دخلوا على هشام ذكروا حوائجهم فقضاها . ثم التفت الى عروة فقال له : ألست القائل

لقد علمت وخير القول أصدقه بأن رزقى وان لم آت يأتينى
أسعى اليه فيعيينى تطلبه ولو قعدت أتانى لا يعنينى

قال : فما أراك الا وقد سعيت له . ثم بعث اليه بألف دينار.

النهى عن التسول والاستجداء :

لقد سد الاسلام على الكسالى كل باب يظنون أنهم يحصلون منه على القوت ، وأوسع هذه الأبواب هو التسول والاستجداء ..
فحرم عليهم مد الأيدى بالسؤال الا من ضرورة قاسية وحاجة ملحة . يقول النبى – صلى الله عليه وسلم – لقبيصة بن المخارق:
« يا قبيصة ، ان المسألة لا تحل الا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك – ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش، أو قال سدادا من عيش . ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش ، أو قال سدادا من عيش . فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتا » .. رواه مسلم .

والحمالة أن يقع قتال ونحوه بين فريقين فيصلح انسان بينهم على مال فيتحمله ويلتزمه على نفسه . والجائحة الآفة تصيب مال الانسان ، والقوام هو ما يقوم به أمر الانسان من مال ونحوه . والسداد ما يسد حاجة المعوز ويكفيه . ويقول النبى أيضا فى ذلك:
« ان المسألة لا تحل الا لثلاث ، لذى فقر مدقع – أى شديد – ولذى

غرم مفظع ــ أى غرامة كبيرة فى موضوع خيرى **كاصــــلاح ذات البين ــ ولذى دم موجع »** ــ أى من كانت عليه دية قتل دفعها بدل **القصاص من قريبه** • رواه أبو داود •

• وبين النبى ــ صلى الله عليه وســــــلم ــ أن الشرف والمروءة تأبيان على المسلم ــ ودينه دين العزة ــ أن يكون فى وضع أدنى من غيره ، ما دام يستطيع أن يعلو بقدره ، فقال : « **اليد العليا خير من اليد السفلى** » رواه البخارى ومسلم • أى المعطى خير من الآخذ •• كما بين أن احتراف أية مهنة ، ولو كانت حقيـــرة فى نظر الناس ، خير من الاستجداء ، ففيه منة ان أخذ وفيه خجل وهم ان منع ، فيقول : « **لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتى الجبل فيـــأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس ، أعطوه أو منعوه** » • رواه البخارى •

وينفر من الاستجداء فيقول : « **من فتح على نفســـه بابا من المسألة فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر » رواه الترمذى •• ويقول : « لا تزال المسألة بالعبد حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم » رواه البخارى** •

ويحارب عمر ــ رضى الله عنه ــ التسول ، فيعزر المتسولين ويصادر ما جمعوه ، ويصرفه فى المصالح العامة للدولة ، جاءه سائل مرة فأمر أحد المسلمين أن يطعمه ، ثم جاءه مرة ثانية فوجـــده يحمل كيسا مملوءا بالطعام ، فضربه بالدرة ونثر كيسه أمام خيل الصدقة المحبوسة للجهاد فى سبيل الله ، وذلك لأن ما فيه هو من أموال المسلمين عامة ، أخذه بغير حقه فيرد اليهم بانفاقه فى مرفق عام هو ملكهم جميعا •

الحث على النشاط فى العمل :

لم يكتف الاسلام بحمل الناس على العمل ولو كان يؤدى فى

أدنى صوره ، ولكنه أمر أن يكون سعيهم الى الخير سعيا حثيثا ، فى همة ونشاط ، وانتهاز للفرص ، وصبر ومصابرة ، ولعل هذا ما يشير اليه قوله سبحانه : « **يأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه** » ، والكدح هو المبالغة فى العمل وبذل الجهد فيه . والحق أن من كان يسوقه الليل والنهار وهما دائبان ، ويناديه أجله وهو لا بد مدركه ، يكون فى جهد جاهد مهما حاول أن يغطى هذه الحقيقة .

ومن النشاط البكور واغتنام الساعات الاولى من النهار فى العمل . يقول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « **باكروا الغدو ، أى الصباح ، فى طلب الرزق ، فان الغدو بركة ونجاح** » **رواه الطبرانى . ويقول** : « **اللهم بارك لأمتى فى بكورها** » رواه أصحاب السنن . وكان صخر بن وداعة الصحابى راوى الحديث يبعث تجارته من أول النهار فأثرى وكثر ماله .

وروى عن السيدة فاطمه بنت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ **أنها قالت** : « **مر بى رسول الله وأنا مضطجعة متصبحة ، أى فى وقت الصبح ، فحركنى برجله ثم قال : يا بنية قومى اشهدى رزق ربك ، ولا تكونى من الغافلين ، فان الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس** » . رواه البيهقى .

مراعاة التشريع للعمل :

حين وضع الاسلام قواعده راعى طبيعة البشر وسنن الكون ، فلاءم بين التشريع وبين مطالب الحياة ، ووفق بين مقتضيات الدين والدنيا وحاجات الروح والبدن . فحينما أمر الله نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقيام الليل فى أول الأمر ، وافقه على ذلك أصحابه السباقون دائما الى الخير ، المقتدون به فى كل

عمل . فكانوا يصبحون وآثار التعب من السهر بادية عليهم . فلا يستطيعون مواصلة العمل بالنهار لكسب العيش الا بجهد ومشقة ، فخفف الله عنهم واكتفى منهم باحياء جزء من الليل ولو قليلا ، معللا ذلك بعلل يقوم مجموعها ، ان لم يكن جميعها : على مراعاة العمل وضرورة توفير الجهد له ، ليستطاع نشر الدين . وعمارة الكون . اسمع قول الله فى ذلك :

« ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ، والله يقدر الليل والنهار ، علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن - علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله ، فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا .. » .

كما يلاحظ أن الله خفف صلاة الصبح فجعلها ركعتين فقط بالرغم من أن الانسان مستريح طول الليل ، وجعل وقتها ضيقا بين طلوع الفجر وطلوع الشمس ، وذلك ليقوم مبكرا يغتنم هذه الساعات المباركة ، التى ان فاتته فقد فاته خير كثير .

ثم انظر اليه وقد مد لك فى فسحة أول النهار ، فلم يطالبك بصلاة الى منتصفه ، وتركك تسعى وتجد لتحصيل ما يعينك على الحياة فى هذه الفترة التى يتوافر فيها النشاط بعد راحة الليل وسكونه الطويل .

فضل العمل :

الآيات والأحاديث والآثار التى مرت تبين مشروعية العمل فى حد ذاته ، بصرف النظر عن فضله وثوابه ، وان كان ذلك يعرف بطريق المفهوم ، بل يعرف من بعضها بطريق المنطوق ..

وسأورد لك بعضا مما يرغبك فى العمل ، ويجعلك تؤمن بأن فضله قد يفوق فضل كثير من الطاعات التى تظنها أنت فى القائمة الاولى من جهة الثواب ٠

فمما ورد فى فضل التجارة قول النبى – صلى الله عليه وسلم – : « **التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء** » رواه الترمذى ٠

وفى الزراعة ورد قوله : « **ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة** » ٠ رواه مسلم ٠

وفى الصناعة وغيرها جاء قوله : « **ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داود – عليه السلام – كان يأكل من عمل يده** » رواه البخارى ٠

وورد فى فضل العمل مطلقا : أن الصحابة كانوا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فرأوا شابا قويا قد خرج مبكرا يسعى لكسب عيشه ، فقالوا : ويح هذا لو كان خروجه فى سبيل الله ! فرد عليهم النبى – صلى الله عليه وسلم – منبها لهم أن سبيل الله متعدد الميادين ، متشعب المسالك ، ليس قاصرا على حمل السيف للدفاع عن الدين والوطن ، بل كل عمل طريقه مشروعة وغايته شريفة والنية فيه حسنة هو جهاد فى سبيل الله ، فيقول : « **لا تقولوا هذا ، فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله ، وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله ٠ وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان** » ٠ رواه الطبرانى ٠

ويقول أيضا : « **خير الكسب كسب العامل اذا نصح** » ٠٠

رواه احمد . وقال بعض السلف : ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الهم فى طلب المعيشة . وستأتى نصوص أخرى فى الكلام على منزلة العامل وعلى دفع الشبه عن بعض نصوص الدين .

منزلة العامل :

كلمة العامل تقابل المتعطل ، والعامل المقصود بالتكريم فى نظر الاسلام هو كل من يقوم بعمل شريف يعف به نفسه وينفع قومه وأمته ، وهو يشمل كل من تحقق فيه هذا الوصف ، فيدخل فيه الموظف فى أكبر منصب وأضعف رجل يزاول أبسط عمل ، والكل لا يتفاوتون فى الفضل والشرف الا بمقدار تفاضلهم فى الاخلاص ، واتقان العمل ، ومراقبة الله والجد فى نفع أكبر قدر من الناس .

والناس كانوا يضعون العامل فى منزلة أحط من غيره ، وذلك صرف للكلمة عن معناها الحقيقى ، وتغيير للأوضاع وتفريق لا مبرر له . ولعل هذا تقليد ورد الينا فيما نقله الاستعمار معه ، لايجاد جو من التفرقة يفيدون منه ، فان فى بلاد المستعمرين طبقة احتكارية تعتمد على ثروتها وجاهها ونسبها ، فتترفع عن العمل وترى أنها هى وحدها الجديرة بكل تقدير ، بل هى الجديرة وحدها بالحياة ، وبجانبها طبقة أخرى كادحة عاملة ناصبة ، لم يولد أفرادها وفى أفواههم ملاعق ذهبية ، ولكن كونوا أنفسهم بأنفسهم ، فغزوا كل ميدان ، وضربوا فى كل مكان ، وعلى أكتافهم قامت النهضات الحديثة ، وملكوا أزمة الأمور فى أكثر الدول ، وبين الطبقتين تنافر وتنافس شديدان .

والاسلام لا يعرف لطبقة فضلا على أخرى بمالها او جاهها أو نسبها ، بل الفضل مداره العمل الصالح « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم .** »

وفى كثير من البلاد يقصد بالعامل فى نظر القانون والمعاملات المالية وخدمة الدولة ، من يتقاضى راتبه على حساب اليوم والساعة، وليس كالموظف الذى يتسلم راتبه على حساب الشهر ٠ وهـــذه التفرقة فى المعاملة جعلت بين الطائفتين شعورا من عدم الرضـــا والانسجام ، وجعلتهم فى نظر الناس ذنب المجتمع وغيرهم رأسه ومقدمه ٠ والواجب علينا يوحى من تعاليم الاسلام أن نعطى كل ذى فضل فضله ، وأن نرفع من معنويات هذه الفئة الغالبة ، التى هى عماد قوتنا ، وذخيرتنا اذا جد الجد وحزب الأمر ونادى الوطن ٠

والعامل بمعناه الحقيقى الشـــامل تتبين منزلته العالية عند الله فيما يلى :

١ ماذا تقول أيها المسلم فى الرجل يحمل سيفه مجاهـــدا فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا ؟٠٠ ان الأديان تجمع كلهـــا على أن منزلته لا يصل اليها الا المقربون ، يقول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ « **لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها** » رواه البخارى ومسلم ٠

ويقول ــ عليه الصلاة والسلام ــ : « **من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة له الجنة** » رواه الترمذى ٠

وفواق الناقة هو الزمن الذى بين الحلبتين ، أو ما بين رفع يد الحالب عن ضرع الناقة وقت الحلب ووضعها ٠

ويقول ــ عليه الصلاة والسلام ــ : « **ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض** » رواه البخارى ٠

ويقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « **لا يجتمع على عبد غبار فى سبيل الله ونار جهنم** » ٠٠ رواه الترمذى ٠

ثم ماذا تقول فى الرجل يصوم الدهر كله فلا يفطر ؟ ان جزاءه يوضحه قول النبى — صلى الله عليه وسلم — : « **ما من عبد يصوم يوما فى سبيل الله الا باعد الله بذلك اليوم وجهه من النار سبعين خريفا** » رواه البخارى ومسلم ٠

ثم ماذا تقول فيمن يقوم الليل كله بالعبادة لا ينام أبدا ؟٠٠ يقول فيه النبى — صلى الله عليه وسلم — : « **أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام** » رواه الترمذى ٠

أظنك بعد أن سمعت هذا تود لو تحمل سيفك مجاهدا حتى تلقى ربك ، ولو تظل طول دهرك صائما صابرا ، ولو تقوم كل ليلك قانتا عابدا ، انك تود ذلك وان كانت النوازع النفسية والعوامل الطبيعية تثنيك عن عزمك ، وتقعدك عن تنفيذ رغبتك ٠٠ ولكن انظر الى هذه المنحة العلية والهدية الربانية ، المسجلة للعاملين الكادحين الساعين على الأرامل واليتامى والضعفاء والمساكين ، الذين يفضلون حياة الشرف والتعفف ، على حياة الذل والمسكنة ٠ انظر الى ذلك فى قول النبى — صلى الله عليه وسلم — « **الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله ٠ وأحسبه قال : كالقائم الذى لا يفتر ، وكالصائم الذى لا يفطر** » ٠٠ رواه البخارى ومسلم ٠

على أنك أيها العامل مجاهد فى سبيل الله حقا ، ما دمت تقصد بعملك اعزاز دينك ووطنك ٠ اذ لولا فأسك أيها الزارع ما أكل الجندى واستطاع أن يدافع ، ولولا مطرقتك أيها الحداد ما صنعت الأسلحة والمدافع ، ولولا منشارك أيها النجار ما صنعت سيارة أو بنيت طائرة ، ولولا « بيجامتك » أيها الميكانيكى ما تحركت قاطرة ولا سارت باخرة ٠ ولولا نولك أيها النساج ما أقيمت خيام الجند وما اتقوا بالملابس وطأة الحر والبرد ، فأنت فى الحق ممون

لجيوش الميدان ، بل أنت مجاهد فى وسط الميدان · اسمع قول النبى — صلى الله عليه وسلم — : « **من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى أهله فقد غزا** » · رواه البخارى ومسلم ·

وقوله — صلى الله عليه وسلم — : « **ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ؟ صانعه يحتسب فى صنعته الخير ، والرامى به ، ومنبله** » رواه أبو داود ·

ثم ضم الى ذلك حديث الشاب القوى الذى تمنت الصحابة أن ينفق جهده وشبابه فى سبيل الله ، وما رد به النبى — صلى الله عليه وسلم — عليهم ، والأحاديث الأخرى التى تقدمت فى فضل العمل تؤكد ذلك ·

وانظر الى منزلتك أيها العامل من خلال هذه القصة أيضا ، فقد روى أن جماعة من الأشعريين كانوا فى سفر ، فلما قدموا على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قالوا له : ما رأينا بعدك أفضل من فلان ، كان يصوم النهار فأذا نزلنا قام الليل حتى نرتحل · فقال : **ومن كان يكفله ويخدمه ؟** قالوا : كلنا · فقال : كلكم أفضل منه ·

وقال عيسى — عليه السلام — للمتعبد فى الصومعة : من يعود عليك ؟ فقال : أخى · قال : **أخوك خير منك** ·

أعتقد أنك آمنت بأن منزلتك عند الله عظيمة ، وأن الاسلام قد أنصفك انصافا كبيرا يعوضك ما فاتك من تقدير فى هذه الحياة ، التى اختلت فيها الموازين واختلفت المقاييس ·

الاسوة الحسنة :

يكفى العمل والعمال فخرا أن الرسل الكرام والرجال العظام لم يرضوا لأنفسهم أن يضرب الكسل من ساحتهم ، فشرفوا الحياة

وشرفتهم الحياة بانضمامهم الى أسرة العمال ، الذين حققوا خلافة أبيهم آدم فى الأرض ، فعمروا الكون وأخصبوه بالخير .

يحدثنا القرآن الكريم أن الله سبحانه علم سيدنا داود — عليه السلام — صنعة الدروع السابغات وألان له الحديد ، وأن نوحا — عليه السلام — كان نجارا ، صنع الفلك وسخر منه قومه كلما مروا به . وأن موسى — عليه السلام — رعى الغنم فى مدين للشيخ الكبير ليقوت نفسه ويحصن فرجه . وتحدثنا السنة الصحيحة أن زكريا كان نجارا . كما رواه مسلم ، وأن جميع الأنبياء رعوا الغنم وقد ورد فى ذلك : « **ما بعث الله من نبى الا رعى الغنم ، قالوا حتى أنت يا رسول الله ؟ قال نعم : كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة** » رواه البخارى .

وعاش النبى — صلى الله عليه وسلم — طول عمره عاملا مجدا ، صادقا أمينا ، سافر خارج مكة أجيرا وشريكا فى تجارة . ومشى فى الأسواق فباع واشترى ، حتى عابه المشركون وقالوا : « **ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق** » ؟

وكان أبو بكر الصديق بزازا تاجر قماش ، خرج صبيحة بيعته بالخلافة حاملا على كتفه أثوابا الى السوق ، فاعترضه عمر ابن الخطاب وبعض الصحابة وسألوه أن يضرب عن التجارة ليتفرغ لمصالح المسلمين . فقال لهم : ومم أنفق على أهلى ؟ انى ان أضعتهم فأنا للمسلمين أضيع . ففرضوا له فى بيت المال ما يغنيه عن التجارة ويكفى أهله ويتفرغ لمهام منصبه الجديد .

وكان عمر بن الخطاب دلالا ، يسعى بين البائع والمشترى ، وكان يقول : « ما من يوم يأتينى فيه الموت أحب الى من يوم أتسوق فيه لأهلى ، أبيع وأشترى .

وكان عثمان بن عفان تاجرا ناجحا فى تجارته وسيأتيك شىء

عنه بعد ، كما كان عبد الرحمن بن عوف صاحب ثروة ضخمة من تجارته .

وروى أحمد وابن ماجه أن على بن أبى طالب قال : جعت مرة جوعا شديدا فخرجت لطلب العمل فى عوالى المدينة ، فاذا أنا بامرأة قد جمعت مدرا - أى حصى - فظننتها تريد بله ، فقاطعتها - أى اتفقت معها على العمل - كل ذنوب أى دلو - على تمرة ، فمددت ستة عشر ذنوبا ، حتى حجلت يداى - أى غلظت وتنفطت - ثم أتيتها فعدت لى ست عشرة تمرة ، فأتيت النبى - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته ، فأكل معى منها .

وروى عن ابن عباس أن عليا - عليه السلام - أجر نفسه من يهودى يسقى له ، كل دلو بتمرة .

يقول الشوكانى معلقا على هذا بما نصه : فيه بيان ما كانت عليه الصحابة من الحاجة وشدة الفاقة والصبر على الجوع . وبذل الأنفس واتعابها فى تحصيل القوام من العيش للتعفف عن السؤال وتحمل المنن ، وأن تأجير النفس لا يعد دناءة وان كان المستأجر غير شريف أو كافرا والأجير من أشراف الناس وعظمائهم .

وسعد بن أبى وقاص كان يبرى النبل ، وعمرو بن العاص كان جزارا ، وقتيبة بن مسلم القائد المشهور كان جمالا ، والمهلب ابن أبى صفرة كان بستانيا ، وقد أورد صاحب كتاب « بصائر القدماء وسرائر الحكماء » صناعات كثير من الرجال المشهورين فى التاريخ .

ولا يظن أحد أن المهاجرين نزلوا بالمدينة كلاجئين ينتظرون معونة الأنصار ويعيشون عالة عليهم ، ولا يفهمن أحد أن مقاسمتهم للأنصار أموالهم كانت منحة تعطى لهم بدون مقابل ، فقد كان ذلك نظير عمل يؤديه المهاجرون للانصار . يقول أنس رضى الله عنه :

لما قدم المهاجرون من مكة الى المدينة قدموا وليس بأيديهم شيء . فكانت الأنصار أهل الأرض والعقار ، فقاسمهم الانصار على أن يعطوهم نصف ثمار أموالهم كل عام ويكفوهم العمل والمؤونة . وقد روى البخارى عن أبى هريرة قال : قالت الأنصار للنبى — صلى الله عليه وسلم — : **أقسم بيننا وبين اخواننا النخيل . قال : لا . فقالوا : تكفوننا المؤونة ونشركم فى الثمرة قالوا : سمعنا وأطعنا**

نصيحتان :

انى أربأ بك أيها العامل أن تدنس هذا الشرف الذى توجك الله به ، أو تستهين به وتحتقر هذه المنزلة الكريمة العالية ، فأنصحك بهاتين النصيحتين : **الأولى** أن تكون نيتك صالحة فى أى عمل تعمله ، وأن تقصد به مقصدا حسنا من معونة أهلك واعفاف نفسك وخدمة دينك ووطنك . فأنما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى . وكل عمل مباح قرنت به نية خير تحول الى قربة وطاعة لها ثوابها عند الله .

الثانية ألا تقطع صلتك بالله وأن تراقبه فى سرك وجهرك .. وهذا يقتضيك تجنب الغش والكذب والخيانة والتهاون ، ويقتضيك الأخلاص والنصح والاتقان فى العمل ، وأن تشكر ربك على نعمة الصحة والتوفيق للعمل ، فتقف امامه فى خشوع وذلة وانكسار ، طاهرا حاضر القلب ، تحمده وتقدسه ، وتثنى عليه ، وتعلن أنك لا تعبد غيره ولا تستعين بسواه ، ثم تطلب منه الهداية والتوفيق ، وتلح فى الرجاء أن يجعلك من عباده المخلصين ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين .. وتظهر له عمليا أنك خاضع لعظمته فتركع أمامه ، وأنك خاشع لجلاله فتسجد بين يديه . تفعل ذلك عدة مرات فى يومك الذى تدأب فيه وتسعى ، ليكون عملك مسجلا رسميا فى ديوان الأبرار . تستحق به هذا التكريم العظيم .

ليس معنى هذه الوقفة الخاشعة الا الصلاة التى فرضت عليك فى اوقاتها المعينة ، وهى مما يطلبه الله منك حين أمرك بذكره عند ابتغاء فضله . فحافظ عليها لتكون ممن لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وابتاء الزكاة .

لا تقل أيها العامل : ليس لدى من الوقت ما يمكننى من أداء هذه الصلاة أو على الأقل اقامتها فى اوقاتها المحددة ، لا تقل هذا فالفضل الذى تبتغيه وتنعم به هو فضل الله ، وكل قوالك وطاقاتك هبة من الله ، وهو القاهر فوق عباده ، لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء . يتقبل اليسير ويعطى الجزيل ، ويبارك فى القليل لمن أخلص له وشكره . والله ذو الفضل العظيم .

دفع الشبه عن الدين

تتلخص الشبه الواردة على الدين في موضوع العمل فى ثـلاث نقط :

١ ـ التوكل على الله ينافيه الأخذ بالأسباب .

٢ ـ السعى والعمل والكفاح فى الحياة ينافى عبادة الله .

٣ الاسلام يدعو الى الزهد فى الدنيا ويحذر من السعى اليها .

واليكم تفنيد هذه الشبه :

التوكل والاخذ بالأسباب :

يقول الله تعالى ((وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها)) ويقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ **((لو توكلتم على الله حـق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا))** رواه الترمذى .. ويقول « **اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله**)) رواه الترمذى .

فهم الجهلاء مما تقدم أن الرزق مضمون فلا داعى للتعب ، وأن التوكل على الله كفيل بوصوله اليهم ، دون حاجة الى سعى وعمل ، وما عليهم اذا أرادوه الا أن يسألوا الله ..

ان الآية تدل حقا على أن الرزق قد ضمنه الله ، ولكن هل قال لك ربك « ان الرزق سيأتيك به ويضعه فى بطنك ليشبعك ، دون أن تحرك رجلا فى طلبه أو يدا فى تناوله أو فما فى مضغه ؟

انظر معى الى هذا المثال :

حينما تقرر الحكومة أنها متعهدة بتموينك بالسكر والشاى مثلا هل تفهم من هذا أنها ستنتقل بهما اليك فى بيتك وتنضج المشروب وتضعه فى فمك ؟ أم تفهم كما يفهم أبسط الناس أن الحكومة قد تعهدت بالتموين وضمنته لك ان قمت بالاجراءات المتبعة ؛ من سعيك الى البقال حاملا بطاقتك ، مقدما نقودك ، ثم ترجع بتموينك الى بيتك وتقوم باعداده وتناوله ؟ كل هذا من عملك انت ، أما الحكومة فهى ضامنة لا غير ، حافظة لحقك ان سعيت اليه . كذلك — ولله المثل الأعلى — قد تعهد الله برزقك فى الدنيا بنصوص هذه الآيات ((**وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها**)) ((**ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين** » ، « **لا نسألك رزقا نحن نرزقك** » وذلل لك سبل الحصول عليه بمنطوق هذه المواد ((**هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا**)) ((**الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى** » ، « **وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين** » .

ورسم لك الخطة التى تتبعها لتصل اليه بنص هذه المواد ((**فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه**)) ((**فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله**)) ((**فاذا فرغت فانصب**))

فالرزق مضمون ولكن يجب السعى اليه من سبله المذللة الواضحة . أما حديث التوكل فلو نظرت الى آخره نظرة فاحصة لفهمت التشبيه ووجهه ولما وقعت فى هذا الخطأ الفاحش ، الذى لا يسنده دليل . التوكل الصحيح هو تفويض نتائج المقدمات الى الله ، وعدم الثقة التامة بهذه الوسائط فهى قد تعقم ولا تؤدى الى النتيجة المطلوبة .

والنبى — صلى الله عليه وسلم — عندما حث على التوكل فى الحديث لم يقل : لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق

الطير ، تنام فى أوكار وتفتح أفواهها وتقول يارب ارزقنا فينــزل اليها الحب فتشبع من جوع . ولكنه يذكر أن الطير تغـــــدو فى الصباح جائعة تسعى هنا وهناك وتلتقط الحب من مواضعه ، ولا تزال طول نهارها فى جهاد وكفاح تنزل مرة فتأكل وتطـــارد مرة فتحرم حتى تعود آخر النهــــار وقد ملئت بطونهـا من رزق الله الذى هداها اليه فسعت وتعبت حتى حصلت عليه . ذلك هـــو قانون الحياة وسنة الكون .

وهل تشك أيها المسلم فى صدق توكل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ربه ، وثقة الأنبياء والمرسلين جميعا بمولاهم ؟ وهل يدانى توكلك على الله توكل الصحابة والسلف الصالح من الأمة على ربهم ؟ انهم جميعا أخذوا فى الأسباب ، وسعوا فى الحياة وجاهدوا وهاجروا وأوذوا فى سبيل ربهم ، ولم يفهموا التوكل كما فهمت أنت من عجز وكسل واستسلام وتواكل . وقد تقدمت صور من ذلك كثيرة فارجع اليها ان شئت

العمل والعبادة :

يقول الله سبحانه ((**وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين**)) ويقول ((**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليهـا ، لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى**))

فهم الجاهلون من هذه الآيات وامثالها ان الله خلق الانسـان لعبادته فقط ، وهى متمثلة فى الصلاة والصيام وذكر الله ومـــا شابهها من الطاعات ، التى تقتضيه التفرغ الى الله والاقبال عليه ، وعدم الاهتمام بالسعى لكسب القوت ، فالله هو الرزاق والسعى لهو وانصراف عنه وعمل من أعمال الشيطان

الحق ايها المسلم ان عبادة الله ليست قاصرة على الصــــلوات

المفروضة والطاعات المعهودة . فان ميدانها واسع وطرقها كثيرة منوعة . وكل عمل تخدم به دينك ووطنك ويرضى عنه ربك هو عمل مبرور ، وطاعة مشكورة ، والمدار على النية الصحيحة الخالصة واتباع المنهج الذى رسمه الشرع الحكيم . والسعى فى سبيل الرزق للاستعانة به على الطاعة ، وصون النفس عن التكفف ، وتوفير الحياة الكريمة للاسرة والوطن أمر محبوب ، يجمله الله ويكرمه ، ويحث عليه الرسول ويرغب فيه .

وقد مرت بك نصوص كثيرة وآثار واضحة تبين أن كسب العيش جهاد فى سبيل الله ، وان التجارة والصناعة والزراعة وكل عمل يرفع قدر الشخص ويكمله وينهض بالوطن ويقويه ، كل ذلك من صميم طاعة الله وعبادته ، وكلها قربات قد يكون الثواب على بعضها أفضل من صلاة الرجل فى بيته سبعين سنة .

لا تظن أيها العامل أن سعيك فى الدنيا معصية أو لهو أو طعن فى وعد الله لك بالرزق ، ولا تظن أن الدين يقف حجر عثرة فى طريق الكفاح والنضال والنهوض . فان الدين الذى يقول لك ((**وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها**)) هو الذى قال لك أيضا ((**هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه**)) ، والدين الذى يقول لك ((**وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون**)) هو الذى قال لك أيضا ((**فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله**)) . والدين الذى يقول لك ((**اذا سألت فاسأل الله**)) هو الذى قال لك أيضا ((**من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر**))

فلا تأخذ بعض النصوص وتترك بعضها الآخر ، فكلها تكمل بعضها بعضا ، واذا فهمتها على أنها كل وضح لك المعنى وتحددت لك الغاية بسهولة ، ولم تقع فى الخطأ الذى وقع فيه كثير من الناس :

فضية الزهد فى الدنيا :

وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية وآثار عن سلف الأمـــة وأقوال الحكماء ، تذم الدنيا وتهون من شأنها ، وتدعو الى الزهد فيها وتحذر من الفتنة بها • وهى كثيرة مشهورة يحفظها ويطرب لها كثير من الناس الذين فهموها على غير وجهها الصـــحيح ، واستغلوها استغلالا سيئا كان له أثره فى سوء حالنا الاقتصادية ، وفى تخلفنا عن الركب واستئثار رأس المـال الأجنبى بكنوز بلادنا آمادا طويلة •

الزهد فى الدنيا أيها المسلم ليس أن تتركها وتعيش فقيرا معدما أو سائلا متطفلا ، ولكنه هو عدم امتلاك حبها لقلبك امتلاكا يشغلك عن واجبك لله ولوطنك ، بمعنى أن تكون الدنيا فى كفك لا فى قلبك ، كما يعبر عنه قول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ((**تعس عبـــد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة**)) رواه البخارى .

والزهد بهذا المعنى لا ينافيه أن تكون عظيم الثروة وافر المال ما دمت عارفا لحق الله ، فتصل الرحم وتعين الفقير وتنفق فى وجوه البر ولا تشغل به عن طاعة الله ، وهو ما يفيده قول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ((**نعم المال الصالح للعبد الصالح**)) رواه احمـــد .

كما أن فى القرآن آيات كثيرة تحث على الانفاق فى وجوه البر ، وفى الأحاديث النبوية أيضا كثرة تدعو الناس وتحملهم على انفاق ما يستطاع من المال فى الوجوه المشروعة .

فما معنى هذه الآيات والأحاديث وما هو أثرها اذا لم يكن لدى الناس مال يستجيبون به لهذه الأوامر ؟ والمال لا يستطاع الحصول عليه الا بالسعى والكد والنصب ومواصلة الكفاح .

فجمع المال والابتغاء من فضل الله أمر مشروع ، لأن المال هو عصب الحياة ، وعماد نهضة البلاد قال تعالى « **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما** »

وقد فهم الصحابة وسلف الأمة قدر المال وما تعنيه الآيات والأحاديث الواردة بخصوصه ، فجمعوه من حله وأنفقوه فى حله ، وملكوا الثروات الطائلة وتقلبوا فى نعمة الحياة فى غير معصية ولهو عن طاعة الله . وكان لكبار أغنيائهم مواقف مشرفة فى الأزمات الشديدة ، تشهد بفضل الله فى نعمة المال ، وبتوفيق أصحابه الى استغلاله فيما يفيد .

كان سيدنا أبو بكر من كبار الأغنياء فانفق أكثر أمواله فى سبيل الدعوة الاسلامية ، وفى ذلك يقول النبى – صلى الله عليه وسلم – « **ما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر** » رواه الترمذى . ولم يبق لنفسه مدخرا فانفق ما بقى منه حين أمر الرسول بالصدقة **ولما ساله النبى : ماذا أبقيت لعيالك ؟ قال أبقيت لهم الله ورسوله.** رواه الترمذى .

وسيدنا عثمان بن عفان جهز غزوة العسرة من ماله ، فتبرع فيها بعشرة آلاف دينار ، صبها بين يدى الرسول ، وحول مائتى بعير بأقتابها وأحلاسها وأحمالها الى تموين الجيش ، فتهلل وجه الرسول بشرا عندما رأى هذه النفوس الخيرة المؤمنة ، التى لم تلهها الدنيا عن تلبية نداء الوطن ودعوة البر ، وقال « **ما ضر عثمان ما يفعل بعد هذا اليوم ، غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة** » ، ذكره القسطلانى فى المواهب

وهو نفسه الذى كانت له تجارة عظيمة فى الشام فى عام القحط الذى نكبت المدينة فى أيام أبى بكر ، فيسرع التجار الى مساومته عليها قبل أن تصل الى المدينة ، وفى كل وقت يتردد التجار عليه مربحين يأبى ويقول : هناك من زادنى ، ولما يئسوا من معرفة

التاجر الذى يزحمهم فى هذه المساومة تلا عليهم عثمان قول الله سبحانه ((**مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم**)) . ثم قال : يا أبا بكر ، تجارتى تحت يدك ، وزعها على الفقراء والمساكين .

وها هو ذا عبد الرحمن بن عوف ، الذى لم ترض نفسه الأبية أن يعيش كلا على سعد بن الربيع - عندما آخى النبى بينهما بعد الهجرة - بل خرج الى السوق فجد واجتهد ونشط فى التجارة ، حتى أقبلت عليه الدنيا اقبالا ، وانهالت عليه الأموال من كل جانب ، ولم يلهه ذلك عن واجبه نحو ربه وأمته ، فلبى نداء البر ودعوة الخير ، وتصدق بأربعة آلاف درهم ، وأمسك لنفسه مثلها ، فيقول له النبى : بارك الله فيما أعطيت وفيما أمسكت ، فتوفى رضى الله عنه وثمن التركة الذى أصاب زوجاته الأربع يقدر بثلثمائة ألف وعشرين الفا ، وقد أعتق من الرقاب ثلاثين ألفا وأوصى بخمسين ألف دينار ، وبألف فرس فى سبيل الله ، وأوصى لمن بقى من البدريين اذ ذاك - وكانوا مائة - أوصى لكل منهم بأربعمائة دينار .

ماذا تقول أيها المسلم فى هذه الشخصيات العظيمة التى لم تلهها الأموال عن واجبها ؟ هل هم متكالبون على الدنيا غير زاهدين فيها ، وهذه آثارهم تشهد بفضلهم وقوة ايمانهم بربهم وصدق فهمهم لتعاليم دينهم ؟

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا
واقبح الكفر والأفلاس بالرجل

الزهد ليس مقياسه الفقر ، فقد يكون الرجل فقيرا لكنه حريص شره جاد فى طلب الدنيا وان لم ينل منها ما يريد . وقد يكون غنيا وهو زاهد فيها كأبى بكر وعثمان وابن عوف وغيرهم ممن عرفوا حق الله فى أموالهم فأنفقوها فى وجوه البر .

لا تركن الى الكسل وتذل بالفقر وتدعى انك زاهد فى الحياة ؛ فالحقيقة أن الحياة هى الزاهدة فيك ، اطلب الخير لنفسك وأمتك بسعيك وجدك ، ولا ترق ماء وجهك بالسؤال ، يقول أبو سليمان الدارانى وهو من أعلام الصوفية : ليست العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك ، ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد .

فرص العمل مهيأة للجميع :

قد يحدث أن تتحدث مع متسول يمد اليك يده ، فيعز عليك ان تراه فى صحة وقوة تم يلجأ الى هذه الوسيلة الوضيعة ، فتعرض عليه أن يزاول عملا فيجيبك : وأين العمل ؟ أوجد لى عملا وأنا مستعد لمزاولته ، وقد يكون هذا الرجل على حق فى قوله : ولكن أكثرهم يفضلون التسول ، لأن حصيلته أكبر من أجر أى عمل يرهقون فيه ابدانهم وأعصابهم .

يقول بعض الباحثين : ليس فى الدنيا فقر فى الثروة والمال ، فان الله الذى خلقنا جعل لنا السموات والأرض ميدانا لنشاطنا ، وأودع فيها من القوى والكنوز ما يكفى حاجة الناس الى أن تقوم الساعة ، ولكن فى الدنيا فقر فى العقول والأفكار ، فمن المستطاع أن يوجد الانسان له عملا مهما كان قدره ونوعه ، اذا صحت نيته وصدقت عزيمته . والأجانب الذين وفدوا على أكثر بلاد الشرق طريدى الجوع والبؤس نزلوا الى ميدان العمل بمزاولة المهن البسيطة التى يترفع كثير من البسطاء عندنا عن تدنيس شرفه بها . ومن هذه المهن البسيطة جمعوا الثروة الضخمة واقتحموا ميادين الأعمال الكبرى بعد ، وكانت لهم هذه المنزلة العالية فى عالم الاقتصاد .

عن انس رضى الله عنه أن رجلا من الأنصار أتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسأله ، فقال : أما فى بيتك شىء ؟ قال : بلى ، حلس ((كساء غليظ ممتهن)) نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعب

نشرب فيه من الماء ، قال ائتنى بهما ، فأتاه بهما فأخذهما رسول الله بيده وقال : من يشترى هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما اياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصارى وقال : اشتر بأحدهما طعاما فانبذه الى أهلك واشتر بالآخر قدوما فائتنى به ، فأتاه به فشد فيه رسول الله عودا بيده ثم قال: اذهب فاحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما ففعل ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما . فقال رسول الله : هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة .. » رواه أبو داود والنسائى والترمذى .

بمثل هذا التفكير أمكن ايجاد عمل ولو بسيطا ، يصون الانسان به وجهه عن اراقة مائة بالمسألة واحتقار الناس له ، واثقاله بالمنن ان كان يحس لها ثقلا . وهذه الطريقة أكرم علاج للتعطل وأحكم باب يسد فى وجه الاستجداء والتسول ، وهى خير ألف مرة من اعطاء صدقة للسائل يستهلكها فى الأكل أو اللبس مثلا ، فان اعداد وسيلة العيش كصدقة استثمارية لها نتائجها وآثارها الباقية المتعاقبة ، ان هنرى فورد رجل الصناعة المشهور كان يحتفظ ببطاقة كتب عليها « عاون الفير » فكتب تحتها « على معاونة نفسه » أى لا تعطه صدقة تغنى بأكلها مثلا فيكون بها عالة عليك ولكن ساعده بوسيلة عيش يعتمد بها على نفسه . ولو أن الصدقات المتناثرة جمعت ونظمت وأقيم بها مشروع انتاجى تعمل فيه الأيدى المتعطلة التى كانت تعيش على الصدقات لأفادت بتشغيل المتعطلين وايجاد مورد رزق لهم ثابت تستفيد منه الأمة الى جوار انتفاعهم به .

قد نلاحظ على الشخص الذى يعتزم اقتحام ميدان العمل أمورا تعرقل سيره وتيئسه من النجاح ، منها : انه يتعجل الربح من عمله ، فاذا لم يوافه عاجلا ، دب اليأس الى نفسه وتركه الى ميدان آخر ، أو هجر العمل كليا . يجب أن تفهم أيها العامل أن

الربح الذى ترجوه لا يأتى طفرة ، وان الجهد الذى انفق أول مرة لا تنتظر ربحا يكافئه فى أول قطاف فان الشجرة لا تثمر وقت غرسها ، والبذرة لا تنبت ساعة لقائها ، وسترى بعد الجد والصبر نتيجة كفاحك ، فاصبر ان الله مع الصابرين .

وقد نلاحظ أيضا على الناشىء فى الكفاح أنه يختار عملا زراعيا او تجاريا أو صناعيا يرى ان غيره قد ربح منه ، فيغريه ذلك بمزاولة مثل هذا العمل ، فتكون النتيجة تزاحما قد يجر وراءه مزاحمين آخرين ، فيكثر العرض ويقل الطلب ، وتكون النهاية الكساد والخسارة والافلاس . ولو أن هذا الشخص فكر وقدر وبحث عن عمل يقل مزاولوه لأمر من الأمور فى حين تشتد حاجة الأفراد والأمة اليه ، ثم أقبل على هذا النوع من العمل مهما كان شأنه ، فانه بمشيئة الله سيرى فيه الخير الكثير .

وهذا هو الذى فعله الوافدون علينا من البلاد الأجنبية ؛ استغلوا غفلة الناس أو ترفعهم عن نوع من الأعمال فأقبلوا عليه فى شجاعة وحرص فنجحوا الى حد كبير .

– فالواجب على من يريد أن يعمل أن يكون ذا بصيرة وفطنة ، وأن يعرف الأساليب التى يرجى منها الخير ويفيد من تجارب غيره ، ويتخير من الاتجاهات ما درس بدايتها واطمأن الى نهايتها ، وأن يكون فى كل ذلك قوى الايمان صادق العزم صبورا متحملا ، واثقا بالله ومعونته للمخلصين

•

يقول « ثورو » فى مذكراته : اذا كنت قد شيدت بأمانيك قصورا فى الهواء فلا تظن أن جهدك قد ضاع ، فالقصور لا تقوم الا فى الهواء ، ولكن عليك أن تبنى لها أساسا ثابتا فى الأرض .

العلاقة بين العامل وصاحب العمل

كان الحديث الماضى عن العمل فى حد ذاته سواء أكان فرديا أم جماعيا ، وسواء أكان العمل حرا لصالح العامل فقط ، أم كان لحساب شركة أو هيئة أو مصلحة أو فرد من الأفراد .

والكلام هنا سيكون عن العمل المرتبط بطرفين لتحديد فكرته وتوضيح العلاقة بين العامل وصاحب العمل ، سواء أكان صاحب العمل شخصية حقيقية أم شخصية معنوية ، كالحكومات والشركات ، ولرسم خط السير المستقيم لايجاد جو من حسن التفاهم ، وضمان الانتاج الطيب المثمر . وسيكون الحديث فى هذه الناحية مرتكزا على أساس دينى بحت ، غير مهتم بما وضعت الدول من قوانين ونظم تخص هذا الموضوع . فلكل دولة أن تحدد كما تشاء ، وأن تضع الخطط كما تمليها عليها بيئتها ونظمها العامة ونظرتها الى قيمة العمل والحاجة اليه

وكل اهتمامى أن أبرز دور الاسلام فى كل ما اكتب خاصا بالعمل ، وهو فى كلياته وقواعده العامة صالح لأن تستوحى منه الجماعات تطبيقات لكل نوع من العمل ، ولكل بيئة من البيئات وتقتبس منه ما يتفق وواقع الحياة ، من الجزئيات التى تتدرج تحت هذه الكليات والفروع التى تظللها القواعد العامة . واليك البيان :

كان يلاحظ أن هناك شعورين متقابلين بين العامل وصاحب العمل ، كثيرا ما كانا سببا فى نزاع يلجىء فى بعض الأحيان الى خطط غير مشروعة ، تضر بمصلحة الطرفين معا ، وتضر بمصلحة الوطن بالتالى .

ذلك أن العامل يشعر بأن وضع صاحب العمل خير من وضعه فهو الثرى المنعم صاحب الأمر والسلطان فى العمل . وقد يجر ذلك الشعور الى حسده على ما يتمتع به من نعم ، فينتهز العامل كل فرصة ويستغل كل ظرف ليحصل منه على أكبر قسط من المنفعة ، اما بزيادة الأجر واما بتأمين المستقبل ، واما بالاستيلاء غير المشروع على شىء مما يخصه .

وصاحب العمل بدوره يشعر بأنه ولى نعمة العامل فى اعطائه اجرته ، ويرى فيه مغتصبا — ولو فى الصورة — يرزؤه فى بعض ما يملك ، بالأجر الذى يدفعه له . وذلك يولد فى نفسه الرغبة فى الانتقاص — ما أمكنته الفرصة — من هذا المبلغ الذى يفر من خزانته ويطير من قبضته كل يوم أو كل أسبوع أو كل شهر . وهذا يغرى صاحب العمل بأن يعمل كل وسيلة لاستيفاء أكبر قسط من جهد العامل ، لقاء أجرته التى يراها دائما ، وفى نظره وحده ، أكبر مما يؤديه من خدمة له . وهذان الشعوران اذا استبدا بالطرفين كانت لهما النتائج الخطيرة

وعلى كل منهما أن يفهم العلاقة الصحيحة القائمة بينهما وأن يتبين المعنى الحقيقى الذى خلقته الظروف من حاجة صاحب العمل الى العمال . وحاجة العمال الى صاحب العمل .

العمل مع التعاقد هو فى حقيقته شركة بين طرفين ، أحدهما صاحب العمل بماله ومادته وإمكانياته ، وثانيهما العامل بقوته وجهده وفنه . وكل منهما لازم للاخر ، فرأس المال وحده كالمادة الخام لا يستفاد منها الا بمعالجتها وتكييفها على النحو المثمر

المفيد . . والمعالجة لا تتحقق بدون مادة تكون محلا لهذا المجهود والقصور فى أية واحدة منهما قصور فى الأخرى .

وهذه الشركة بالمساهمين فيها ـ العامل وصاحب العمل ـ لا تربح الا اذا كان الشريكان على وفاق تام ، والا اذا فهم كل منهما وضعه من أخيه ، وعملا معا لمصلحتيهما لا لمصلحة طرف واحد . فلو أن صاحب العمل خرج عن هذا الحد ، وأساء الى العامل وفكر فى نفسه فقط ، تعطل عمله وتعطل راس ماله ، وخسر وخسر معه العامل وخسرت الدولة . ولو أن العامل خان الأمانة ولم يحسن الرعاية . أضر بالعمل وبرأس المال الذى يكسب منه قوته وقوت أهله ، فيخسر هو ويخسر صاحب العمل وتخسر الدولة أيضا تبعا لذلك .

و فى مثل هذه الحالة يقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « يقول الله : أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه ، فاذا خان خرجت من بينهما » وفى بعض الروايات زيادة « وجاء الشيطان » رواه أبو داود . ولهذا أتقدم الى كل منهما بالنصائح التالية :

نصيحة العامل :

١ ـ على العامل أن يراقب ربه وحده ، فيتقن العمل ويخلص فيه ، سواء أكان صاحب العمل مراقبا له أم غائبا عنه ، يقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ **« أن الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه »** . حتى لو كنت أيها العامل مظلوما فلا تقصر أو تهمل ، ولا تحدثك نفسك بأن تعمل بمقدار ما تعطى من أجر تراه لا يكافىء مجهودك ، فان أجرك عند الله مضمون . وهو يبارك لك فى القليل الذى لم تلوثه المعصية بالتقصير والاهمال فى هذه الأمانة التى وكل اليك رعايتها ، والنصح فى استثمارها

٢ ــ عليه أن يكون أمينا عفيفا طاهر اليد ، لايغتصب ماليس له فيه حق • أو يختلس مايعلم حرص صاحب العمل عليه وعدم سخاء نفسه به وما يلزم للانتاج وحسن سير العمل• فان المؤمن اذا اؤتمن لا يخون ، واذا استودع أمرا رعاه حق رعايته ، وأمانة العامل وسام شرف تقرر من أقدم العصور ، تقول ابنة شعيب لأبيها فى حق موسى كما حكاه القرآن الكريم « **ياأبت استأجره ، ان خير من استأجرت القوى الأمين** »

والقليل الذى طمعت فيه نفسه سحت ، وكل لحم نبت من سحت فالنار اولى به ، كما رواه الترمذى عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وجاء فى الأحاديث : « **الظلم ظلمات يوم القيامة** » رواه مسلم • « **والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه الا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة** » رواه البخارى ومسلم « **ومن استعملنا على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول** » رواه أبو داود •

كن على ذكر دائما أن صاحب العمل اذا غاب فان الله حاضر لايغيب • خرج ابن عمر رضى الله عنهما فى بعض نواحى المدينة ومعه أصحاب له فوضعوا السفرة ، فمر بهم راعى غنم فسلم ، فقال له ابن عمر : هلم ياراعى فكل معنا ، فقال : انى صائم ، فقال له ابن عمر : أتصوم فى هذا اليوم الشديد الحر وأنت فى هذه الجبال ترعى الغنم ؟ فقال له : انى والله أبادر أيامى هذه الخالية • فقال له ابن عمر ــ يريد أن يختبر ورعه ــ : هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها ونطعمك من لحمها فتفطر عليه ؟ فقال : انها ليست لى ، انها غنم سيدى • فقال له ابن عمر : وما عسى سيدك فاعلا اذا فقدها وقلت : أكلها الذئب ؟ فولى الراعى عنه وهو يقول : فأين الله ؟ يرفع بها صوته ويشير بأصبعه الى السماء فجعل ابن عمر يردد قول الراعى ذلك ، فلما قدم المدينة اشترى العبد

الراعى والغنم ، وأعتق العبد ووهبه الأغنـــام • رواه الطبرانى والبيهقى فى الشعب •

٣ ـ على العامل أن يتعاون مع صاحب العمل بالنصح له وعدم البخل بما يراه وسيلة صالحة لزيادة الانتـــاج وخير الطرفين ، وعليه ألا يتأثر بوسوسة النفس بأن الفائدة لغيره فى هذا النصح لايناله منها شيء ، لأن كل خير يصيب العمل ينفع العامل وصاحب العمل وينفع الوطن كله ، والتناصح هو روح الدين كما يقـــول الحديث « **الدين النصيحة** » رواه مسلم •

٤ ـ عليه أن يشكر صاحب العمل الذى أجرى الله رزقه على يده وأن يتأدب معه وينزله منزلته بالقـــدر الذى لايضر بالشرف والدين . فان شكر الناس على الخير الذى يصل منهم مظهر من مظاهر شكر الله ، ووسيلةتمهد لشكره تعالى على نعمه ، يقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **لايشكر الله من لايشكر النـــاس** » رواه أبو داودالترمذى • ويقول « **من اصطنع اليكم معروفا فجازوه، فان عجزتم عن مجازاته فادعوا له ، حتى تعلموا أن قد شكرتم ، فان الله شاكر يحب الشاكرين** » **رواه أبو داود والنسائى** •

٥ ـ عليه أن يتجنب حسد صاحب العمل على ما آتاه الله من فضل ، وألا ينقم عليه ما وفق اليه من خير ، فان الحســـد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، كما رواه أبو داود عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ولا تمدن عينيك أيها العامل الى ما متعه الله به زهرة الحياة الدنيا ، فانك لاتدرى أى وضع هو خير لك ، والله يعلم وأنتـــم لا تعلمون . وانظر الى قول النبى فى ذلك ما معناه « **انظروا الى من هو دونكم ، ولا تنظروا الى من هو فوقكم ، فان ذلك أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم** » رواه الترمذى •

٦ ـ على العامل أن يكون حسن الأخلاق لطيف المعشر ، ألفا مألوفا ، ينصح زملاءه ويوجههم الى الخير ، ويبصرهم بمواقع الخطر ، وأن يفيدهم من تجاربه وخبرته ، وليحذر من الدس عليهم عند صاحب الشأن ليحظى هو برتبة أو مكافأة فان المكر السيء لايحيق الا بأهله ، ومن حفر لأخيه حفرة وقع فيها • يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **من أكل بمسلم أكلة أطعمه الله أكلة من نار جهنم يوم القيامة • ومن قام بمسلم مقام سمعة أقامه الله يوم القيامة مقام رياء وسمعة • ومن اكتسى بمسلم ثوبا كساه الله ثوبا من نار يوم القيامة » رواه الحاكم • ويقول « كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه »** رواه مسلم . وليحذر الشماتة بأخيه ان أصابه مكروه ، فان الكل معرض لمثل ما أصيب به وفي الحديث « **لاتظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك** » رواه الترمذي • كما لاينبغي له أن يتتبع أخطاء زملائه وعوارتهم لاستغلالها في الأضرار بهم ، ففي الحديث « **لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله** » رواه الترمذي .

وعلى العموم يجب على العامل أن يحب لأخوانه مايحب لنفسه ، ويكره لهم مايكره لنفسه ، فذلك عنوان كمال الايمان • الذي يقول فيه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **والذي نفسي بيده لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا » رواه** مسلم •

نصيحة الرؤساء وأصحاب الأعمال :

١ ـ يجب على الرئيس أو صاحب العمل أن يوفي العامل حقه الذي اشترط عليه ، وألا يحاول انتقاص شيء منه ، فذلك ظلم عاقبته وخيمة • وليحتفظ له بحقه كاملا ان غاب أو نسيه فالله حسيب ، وعليه الا يؤخر اعطاءه حقه بعد انتهاء عمله ، أو بعد

حلول أجله المضروب له . يقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **قال الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته ، رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره** » رواه البخارى ويجب ألا يضن على العامل بزيادة فى الأجر ان أدى عملا زائدا على المقرر المتفق عليه ، فان الله يأمرنا بتقدير كل مجهود ومكافأة كل عمل نافع مفيد فيقول : « **ولا تبخسوا الناس أشياءهم** » .

٢ ـ يجب أن يكون رحيما بالعامل ، فلا يكلفه فوق مايطيق . ولا يرهقه بعمل أو يثقله بقيود وأوامر أو ماشابه ذلك من مضايقات والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول فى العبد المملوك « **للمملوك طعامه وشرابه وكسوته ، ولا يكلف الا مايطيق ، فان كلفتموهم فأعينوهم ، ولاتعذبوا عباد الله خلقا أمثالكم** » رواه مسلم وابن حبان . ويقول « **ماخففت عن خادمك من عمله كان لك أجرا فى موازينك** » رواه ابن حبان . واذا كان هذا المملوك فكيف بحر مثلك شاءت له الأقدار أن يكون وضعه المادى أو الأدبى أدنى من وضعك ؟

٣ ـ عليه أن يمكن العامل من أداء ما افترضه الله عليه من طاعة كالصلاة والصيام ، ويحرم عليه أن يعوقه عن ذلك ، وليعلم أن العامل المتدين أقرب الناس الى الخير ، وأرجى فى عمل ما ينفع ، من اخلاص ومراقبة وأداء للامانة وصيانة لما عهد اليه به .

وليعلم صاحب العمل أن المهمل لواجباته الدينية لايؤمن شره، لأن من « أكل » حق الله وهو ولى نعمته والقاهر فوق عباده والمطلع على كل شىء ، لايصعب عليه أن « يأكل » حق الآدمى وهو مخلوق ضعيف مثله ، ليس مراقبا له فى كل لحظة من لحظات عمله .

وليعلم أيضا أن العاصى اذا وفر بعدم صلاته بعض الوقت لصالح العمل ، أو ساعدته صحته بأفطار رمضان على كثرة الانتاج

فان ذلك شيء يسير بجانب مايؤديه المطيع من خدمات متنوعة ..
على أن المهمل لواجباته الدينية له حيل كثيرة ــ لاتستعصى عليه ــ في تضييع الوقت والتراخي في العمل ، فضرره أشد ، والخسارة منه أفدح .

وليحذر أن يكون في موقفه هذا ممن يصد عن سبيل الله ويعطل شعائر الدين « **الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد** » . « **أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى . أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى . أرأيت ان كذب وتولى . ألم يعلم بأن الله يرى ؟** »

على أن روح التسامح ومراعاة شعور التدين في العمال يجذب القلوب الى صاحب العمل ، ويحملهم حملا على مقابلة الاحسان بالاحسان والأخلاص في العمل ، والدفاع عن مصالحه وحمايته بكل وسيلة . وأصعب شيء على النفس أن يحول أحد دون اشباع رغباتها الدينية التي هي الأمل المرجى في تعويض مايحرمه الانسان من رغبات بذل في سبيلها الشيء الكثير ، فلم يحصل الا على النزر اليسير .

بل المطلوب من الرئيس أو صاحب العمل ان يراقب العمال في سلوكهم ، ويحملهم بالحسنى على التمسك بآداب دينهم ، فهو راع وهم رعيته ، والنبي يقول « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** » رواه البخاري ومسلم .

٤ ــ عليه أن يتواضع ويخفض الجناح للعمال ، ليزيده الله رفعة ويتم عليه نعمته ليكن سمح النفس ، كريم الخلق ، عف اللسان ، طلق المحيا ، حكيما في توجيهه فهذه صفات تدعو الى اكباره واجلاله ، وتدفع الى الأخلاص للعمل والحفاظ عليه . وليحذر أن يكون ممن أبطرتهم النعمة وغرتهم الدنيا فاستحوذ عليهم الشيطان وأنساهم ذكر الله والدار الآخرة قال تعالى « **تلك الدار الآخرة**

نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ، والعـــاقبة للمتقين »

٥ ـ عليه أن يعمل على التقريب بين العمال وايجاد جو من حسن التفاهم بينهم ، وليحذر أن يكون استعماريا فى معاملتهم فيفرق بين صفوفهم ، ويضرب بعضهم ببعض ، ويفسح المجال لتجسسهم على بعضهم ، والسعاية والنميمة والافتراء على بعضهم ، زاعما أن ذلك يكسر شوكة العمال ويشغلهم عنه • وليعلم أن راحة ضميره فى راحتهم ، وسكنه وهدوءه فى استقرار أحوالهم وانصرافهم الى الجد وبعدهم عن المجالات الدنيئة • يقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ **« لايبلغنى أحد من أصحابى عن أحد شيئا ، فانى أحب أن أخـرج اليكم وأنا سليم الصدر »** رواه أبو داود والترمذى • ويقـــول : **((شرار عباد الله المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العيب))** رواه أحمد .

هذه بعض النصائح والتوصيات تقدمت بها الى طرفى الشركة، لو التزمت حدودها ونفذت على أحسن وجوهها ، ماحدث نـــزاع بينهما ، وماكانت هناك حاجة الى تدخل أولى الأمر ، وتضييع جزء كبير من وقتهم وجهدهم ، هم فى أشد الحاجة اليه فى معالجـــة المشاكل الكبرى ، التى تقتضى جوا من الهـــدوء والاطمئنـــان والاستقرار •

المرأة والعمل

الاسلام حين يأمر بالعمل ويكرم العمال ، لم يخص بذلك جنسا معينا ، أو مجموعة خاصة من البشر ، فلكل انسان ، بل لكل كائن حي عمله الذى هيىء له • والقرآن الكريم قد قرن بين الذكر والأنثى حين تحدث عن العمل فقال « **من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة** » وصرح فى بعض الآيات بعلة هذا الاقتران فقال « **فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض** » •

ويتساءل كثير من الناس عن حكم الدين فى عمل المرأة ، وعن دورها فى الاسلام فى تقدم الوطن ، وتعقد الندوات للمناظرة فى امكان التوفيق بين عملها خارج المنزل وبين عملها فى داخله ، ولبيان الحكم فى ذلك أقول : —

الحث على العمل والاشادة بقدر العامل يهدف الى غرضين : —

الأول : كفاية المرء نفسه ومن تلزمه نفقته حتى لا يضطر الى الاستجداء •

الثانى : رفع مستوى المعيشة ورفاهية الشعب عامة •

والرجل والمرأة فى الهدف الأول سواء ، ويجب على كل منهم أن يجاهد بما يستطيع من قوة ليحيا حياة كريمة شريفة • وعبء

الرجل فى هذه الناحية أكبر من عبء المرأة ، فهو المكلف بالانفاق على زوجه ، وعلى أصوله وفروعه ماداموا فى حاجة اليه ، وهو المقدر عليه أن يشقى فى الحياة ليوفى بالتزاماته نحو نفسه ونحو غيره ، ولعل مما يشير الى ذلك قوله سبحانه « **فقلنا ياآدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى** » فآدم وزوجه سيخرجان من الجنة ان أطاعا الشيطان ، وسيكون الشقاء والتعب له وحده بمعنى أن نصيبه من ذلك أكبر من نصيب المرأة • وقد كونت طبيعتاهما على نحو يؤهل كلا منهما لما قدر له فى الحياة الدنيا من عمل •

والمرأة لا يخلو أمرها اما أن تكون متزوجـــة أو غير متزوجة ، فالأولى نفقتها على زوجها ، والثانية نفقتها على من يتولى أمرها من والد أو ولد أو قريب • وهى لاتلجأ الى العمل الا اذا عدمت هؤلاء أو كانوا فى عسر يضيق عن الوفاء بحاجتهـــا . وفى هذه الحالة يجوز لها أن تعمل ، وليكن أول ميدان لها فى بيتها ، من حياكة وتطريز وصناعات منزلية ، فذلك أولى وأفضل • ولها أن تكسب قوتها بمزاولة العمل خارج البيت ، ويتأكد ذلك العمل اذا كانت تعول ضعافا ، ليس لهم من يتولى أمرهم •

يقول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « **قد أذن اللـه لكن أن تخرجن لحوائجكن** » رواه البخارى • ويقول جابر « طلقت خالتى فأرادت أن تجد ــ أى تقطع ــ نخلها ، فزجرها رجل أن تخـــرج ، فأتت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : ((**بلى ، فجدى نخلك فانك عسى أن تصدقى أو تفعلى معروفا** » رواه مسلم • وتقول أسماء بنت أبى بكر الصديق « تزوجنى الزبير وما له فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شىء غير فرسه وناضحه ، فكنت أعلف فرســـه ، وأكفيه مؤونته وأسوسه ، وأدق النوى لناضحـــه ــ أى بعيره ــ وأعلفه ، وأستقى الماء وأخرز غربه ــ أى أخيط دلوه ــ وأعجن ، وكنت أنقل النوى على رأسى من ثلثى فرسخ . حتى راسل الى أبوبكر

بجارية فكفتنى سياسة الفرس ، فكأنما أعتقنى · ولقيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوما ومعه أصحابه ، والنوى على رأسى ، فقال : أخ أخ ! لينيخ ناقته ويحملنى خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته ، وكان أغير الناس ، فعرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنى قد استحييت ، فجئت الزبير فحكيت له ماجرى ، فقال : **والله لحملك النوى على رأسك أشد على من ركوبك معه** » رواه البخارى ومسلم ·

وأما الهدف الثانى للعمل وهو رفع مستوى المعيشة ورفاهية الشعب ، فالرجال أقدر على أن يقوموا بالقسط الأكبر من الجهاد فى هذا الميدان ، وذلك ما أمدهم الله به من طاقات وامكانيات تتكافأ مع ذلك . والمرأة بما لها من استعداد خاص ـ مطالبة أيضا بالوقوف فى الصف للتعاون على نهضة الوطن والانسانية عامة ، وهى بهذا الاستعداد لها ميدان يناسبها ويمكن أن تبرز فيه مواهبها ، وتؤتى ثمارها المرجوة ، ومادامت مطالبها مكفولة بما أوجب الله على الزوج والقريب من رعايتها ، فان ميدان العمل فى محيط المنزل أنسب لها وأفضل ·

والحياة المنزلية القائمة على ادارة البيت ورعاية حقوق الزوج والأولاد ، تتطلب ، الى جانب الأعباء الاخرى ، عبئا ماليا يمكن للمرأة أن تسهم فيه بنصيب كبير ، وأن يبرز أثرها واضحا فى رفع مستوى المعيشة الزوجية ، بل وفى تحسين اقتصاديات الوطن عامة · فخدمة البيت ومراقبة الأطفال صحيا وثقافيا وخلقيا ، واعداد الملابس وعمل بعض المأكولات المحفوظة ومواد التنظيف ··· لو أحسنت المرأة القيام بها لساد فى البيت الهدوء والاستقرار ، ولتوفر جزء كبير من الدخل يساعد فى انعاش حال الأسرة ، ويوفر جزءا كبيرا من مال الدولة كان يستورد به بعض الكماليات من الخارج ·

وهذه الجهود المحترمة لاتقل أثرا وفضلا عن جهود الرجل خارج

محيط الأسرة • لقد جاءت أسماء بنت يزيد بن السكن وافدة على النبي من قبل بنات جنسها لتعرف رأيه في جهود المرأة وما امتاز به الرجل عليها من كفاح في الحياة وخدمات للامة وفرص للاجر والثواب • قالت أسماء : ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبالهك ، وانا معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم ، وأنتم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج • وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل • وان أحدكم اذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم ؛ وغزلنا لكم أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم • أنشارككم في هذا الأجر ؟ ••

فكان رد النبي عليها « **افهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته تعدل ذلك** » رواه البزار والطبراني •

وتقول السيدة عائشة : **المغزل بيد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد في سبيل الله** • ويقول شاعر النيل : —

في بيتهن شئونهن كثيرة ... كشئون رب السيف والمزراق

هذا وللمرأة أن تعمل خارج المنزل بدليل ما سبق من النصوص غير أن ذلك مشروط بالمحافظة على حدود الشريعة التي تحتم عليها مراعاة الصيانة والشرف والعفة • ولهذا نوصي بما يأتي : —

١ — ستر جميع مفاتنها عن الأجانب ، واحتشامها في ملابسها، فلا تكون شفافة أو محددة تلفت الأنظار ، وعدم استعمال الأصباغ والزينات الأخرى التي تغري وتدعو الى الفتنة، يقول تعالى « **ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن** » والجيب فتح في أعلى الثوب يبدو منه بعض الجسم • ويقول النبي — صلى

الله عليه وسلم ــ لأسماء بنت أبى بكر عندما دخلت عليه وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها « **ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا** » وأشار الى وجهه وكفيه . رواه أبو داود .
ويقول دحية الكلبى : أتى رسول الله بقباطى ــ أى ثياب ــ فأعطانى قبطية وقال : اصدعها صدعين ــ أى شقها نصفين ــ فاقطع أحدهما قميصا ، واعط الآخر امرأتك تختمر به ولتجعل تحته ثوبا لايصفها » رواه أبو داود . كما وردت نصوص أخرى فيها وعيد شديد للكاسيات العاريات ، المائلات المميلات ، وبأن خرجت مستعطرة ليجد الناس ريحها .

٢ ــ الحرص على الجد فى حديثها والاتزان فى أعمالها اذا كان عملها يقتضيها مخالطة الرجال ، قال تعالى « **فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا** » . واذا كانت هذه الآية واردة فى شأن زوجات النبى ، وهن من هن فى التصون والترفع ، فغيرهن أولى وأجدر .

٣ ــ الحذر كل الحذر أن تكون هى والأجنبى فى خلوة ففى الحديث « **ماخلا رجل بامرأة الا دخل الشيطان بينهما** » رواه الطبرانى .

٤ ــ أن تحاول عدم مزاحمة الرجال فى محل العمل أو الطرقات أو وسائل الانتقال ، والاجتهاد فى اختيار المكان الذى لايجرح شعورها وشعور غيرها . يقول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو خارج من المسجد ــ وقد اختلط الرجال مع النساء فى الطريق « **استأخرن ، فليس لكن أن تحققن الطريق ــ أى تسرن فى وسطه ــ عليكن بحافات الطريق » فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى ان ثوبها ليعلق بالجدار من لصوقه به . رواه أبو داود . كما أوصى النبى** بعدم مزاحمة الرجال لهن فقال « **لأن يزحم رجلا خنزير ملطخ بطين**

أو حماة خير من ان يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له » رواه الطبرانى ٠

هذه هى بعض الآداب التى وضعها الاسلام لصيانة شرف المرأة وعفتها ، وللحفاظ على الآداب العامة للامة ، يجب عليها أن تراعيها اذا كانت تريد أن تسهم فى خدمة الوطن عن طريق العمـــل خارج المنزل ، والا كانت المصائب والآثار السيئة أشد خطرا وأوخم عاقبة فكم ضاع شرف وأهينت كرامة ، وفشلت زوجية وهدمت أسرة ، بسبب اندماج المرأة فى المجتمع دون تحفظ ، وبسبب اسفافها فى تقليد الأجنبيات وعدم مراعاةالتقاليد والآدابالأمر الذى أوجد موجة عارمة من الشك بين الرجال والنساء ، صرفت الـــكثير منهم عن الزواج . ولجأ الى وسائل تأباها الكرامة ويمقتها الدين ٠

انى أنصح المـرأة ـ وهى مخلوق له مواهبـــه واستعداداته الخاصة ـ أن تبتعد عن المعترك الصاخب للحياة الخارجية ـ ما دامت فى غير ضرورة اليه ـ فهو معترك ملء بالهموم والتبعات الثقيلة ، وأولى لها أن تعنى بتدبير شئونها المنزلية وتوفر أسباب الراحـــة لزوجها الذى جعلها الله له ســـكنا ، ولأولادها الذين هم أمانة فى عنقها ٠

ولتعلم ان النساء العاملات فى الغرب يتمنين أن يتمتعن بالراحة بعيدا عن عناء الأعمال الشاقة ، وكلهن أمل أن تجد احداهن بيتا هادئا ، تتربع على عرش مملكته ، تديره وترعى شئونه ، فى يسر وسهولة ، وفى كرامة وشرف ٠

فما دام فى الرجال كفاية فلتنعم المرأة بما وهبها الله من هـــذه الامتيازات ، أما اذا جد الجد وحزب الأمر واقتضت الظروف تعبئة كل القوى للعمل فان الكل فى هذا الميدان سواء ٠

ولتعلم السيدة ان ما تكسبه من عمل خارج بيتها لا يوازى تلك الخسارة الفادحة التى تحيق بالمنزل والأولاد ، وهم ذخيرتنــا فى الحياة وأمل الوطن المرجى ، ودعامة البناء الجديد السعيد · ولن يستطيع الخدم مهما كان شأنهم أن يوفروا للبيت بهجته·وهدوءه واستقراره ، ولا أن يعوضوا للأطفال مافقدوه من حنان الأمومة وحسن الرعاية والتوجيه ، ولا أن يغرسوا فى نفوسهم المعانى الكريمة التى يريدها الآباء ويحرص عليها المجتمع السليم ·

الغربيون والعمل

عرفت مما تقدم ما كان عليه الغرب من بؤس وفوضى وتخلف عندما أشرق نور الاسلام على المعمورة ، ووضع للناس أصول الحياة الخيرة السعيدة ، ورأيت أنهم لم ينهضوا نهضتهم الحديثة الا بعد احتكاكهم بالمسلمين ، واقتباس أصول المدنية منهم ، ولهذا أدركوا خطر العمل والنشاط ، ورأوا فيه منقذا لهم من بؤسهم ، فعبئوا كل قواهم ، ووجهوا جميع جهودهم الى الانتاج والاكتشاف والاختراع ، وسخرت أقلام الكتاب وفنون الشعراء فى الاسهام فى هذه الحركة الجديدة ، فرأينا فى أدبهم شعرا ونثرا ثروة ضخمة من الحث على العمل ، وضرب الأمثلة المنوعة التى تحببه الى نفوس الناشئة ليشبوا على احترامه وتكريمه .

وسأورد لك بعضا من هذه المأثورات الأدبية التى قرأتها فى كتبهم لتعرف منها مدى تشجيعهم للعمل وفهمهم لرسالته :

تقول « مدام تاستو » فى احدى قطعها الشعرية : —

كما جعل الله المطر الغزير ليخصب الأرض فى الصيف ..

جعل العمل والنشاط لأخصاب الحياة .

لاتدع لحظة من الزمان تمر بدون فائدة .

واعلم أن عود القمح الذى لايحمل سنبلة .

لا يأبه له اللاقطون للأعواد بل يدوسونه بأرجلهم .

فلتكن أيامنا فى خصبها وانتاجها
كالسنابل المحزومة فى مخزن الفلاح
ويقول أحد الشعراء الفرنسيين : —
لاتركنوا الى الكسل فهو الصدأ الذى يلوث المعادن اللامعة .
واعلموا ان بهجة الحياة وزينتها ولذة السعى والعمل .
والبؤس والتبرم بالحياة والذلة ناشـــئة عن الكسل .

ويصور آخر قيمة العمل بهذه المحاورة التى تخيلها بين سلاحى محراث ، ملخصها :

ان سلاحا لامعا كالمرآة سمع سلاحا آخر يشكو الصدأ الذى أضاع رونقه ، ويسأل عن سبب ذلك ، فيجيبه الأول بقوله: السبب واضح غير خفى ، هو أنك متعطل لاتشتغل ، أما أنا فأقضى يومى كله فى العمل ، ولن تتخلص من الصدأ الذى تشكوه الا بشىء واحد هو العمل .

ويقول مريض للطبيب : أنا لاأشتغل لأنى مريض ، فيرد عليه الطبيب ويقول : لاتقل هذا ، ولكن قل : أنا مريض لانى لا أشتغل

ويقول فيكتورهوجو : اعملوا تسترح ضمائركم . « واذااستراحت ضمائركم فلن تشقوا أبدا .

بمثل هذه الروح شجع الغرب العمل ، ووضعوا القـــوانين لتنظيمه ، وقوى الوعى العمالى وانتشر فى جميع الأقطار الاوروبية، وقامت باسمه حركات وثورات كثيرة فى العصر الحديث ، كلهـا تدرك خطره وتدعو الى تنظيمه على أحدث الأساليب التى تساعد على أداء رسالته الجليلة .

ومن المؤسف أن كثيرا من الشرقيين والمسلمين فتنوا بهـــذه الحركات والثورات فعملوا جهدهم على أن يتبعوا آثارها ويسيروا

على نهجها ، مقتبسين لخططها ، مشيدين بفائدتها ، اقتبسوا هذه هذه الخطط وما انطوت عليه من أفكار ولا زمها من مبـــادىء • وأخذوها على أنها نعمة من نعم الغرب ، وابتكار أو تنظيم لم تسبقهم اليه أمة من الأمم ، ناسين أن الاسلام قد سبق كل هذه الحركات والنهضات بعشرات القرون ، فجاء بأحكم الخطط وأقوم السـبل وأرشدها لانعاش الحياة وبناء المجتمع على أساس سليم ، فيه خير مافى هذه النظم ، على مثال وسط لا أفراط فيه ولا تفريط ، حمى الملكية واحترمها ، وأوجب فيها حقوقا تقيهاطغيانها وسوء استغلالها ودعا الى اشتراكية عادلة معقولة لا تهدر حقا ولا تضعف عزما ، ولا تضيع جهدا •

ولو أن الناس ولوا وجوههم شطر الدين لوجدوا فيه خير المثل والمبادىء الاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، ولو أنهم أخـذوا من سلفهم الصالح قدوة لكان لهم شأن غير هذا الشأن ، لقـد كان شعارهم هذا القول الحكيم : «**من أمضى يومه فى غير حق قضاه ، او فرض أداه ، أو مجد أثله ، أو حمد حصله ، أو خير اسسه ، او علم اقتبسه ، فقد عق يومه وظلم نفسه**» •

كانت أيامهم كلها عملا منتجا ، فى الميادين الثقافية والاقتصادية والعمرانية الى جانب المجال الدينى والتهذيب النفسى والجهاد لنشر كلمة الحق والسلام •

هيا إلى العمل

رسالة العمل رسالة خطيرة ، ودوره دور كبير فى نهضة الأمم ورقيها ، وهو الى جانب مآثره الوطنية العامة له فوائدصحية وخلقية واجتماعية ،

فالعمل يهب الصحة ويخلص البدن من كثير من العلل ، لما فيه من حركة ونشاط وتمرين للاعضاء ، وتغيير للاجواء وشعور النفس بالبهجة والعقل بالمتعة ، وفيه راحة للضمير وسكن للنفس ٠
العمل أحسن وسيلة لقتل وقت الفراغ ، وخير مايقضى على السأم والملل ، بما فيــــه من تجـــديد وتغيـــير وتفكير منتج مفيـــد ، ينأى بالانسان عن الأمانى الباطلة التى تتراكم فى ذهنه عند تعطيله والمنى هى رأس أموال المفاليس٠كما ينأى به عن المسليات الشيطانية من نحو القمار واللهو ، وهو يصرف عن التفكير فى الجرائم التى يرى فيها المتعطل بابا ليحصل منه على قوته ٠ فالعامل بما وهبــه الله من رزق حلال طيب لايرى حاجة الى التفكير فيما يفكر فيـــــه الحمقى حرصا على مستقبله وابقاء على شرفه وسمعته ٠

العمل يضع صاحبه فى موضع كريم اذا فوضل بين الرجال ويكسبه شرفا لنفسه وأمته لا يعـــدله شرف ، انه عزيز فى قومه لا يرى لغيره منة عليه ، فهو عضو عامل متحرك فى جســـم الأمة ، وغصن مورق فى شجرة الانسانية ٠ أما المتعطل فهو خزى وعار ،

وعجلة متعطلة في ماكينة الحياة ، وأرض قاحلة وسط حديقة الانسانية الخضراء ، النملة الدائبة أحسن منه لأنها لم تخرج على قانون الطبيعة ، وقد خلق الرجل ليعمل كما خلق الطير ليطير ، فان لم يعمل خرج على طبيعته وتمرد عليها كمخلوق وكل اليه عمارة الأرض • تقول العرب فى حكمها : **كلب جوال خير من أسد رابض**• وتقول : **من غلى دماغه صائفا غلت قدره شاتيا** • أى من تعب وهو يعمل فى الحر تحت أشعة الشمس كثر خيره وطاب زاده وقت الشتاء حيث لاتمكنه الظروف من العمل •

العمل ثروة تنتج ثروات ، وكنز تتولد منه كنوز ، أوصى به العجوز أولاده قبل موته ، موهما لهم أن بالأرض التى سيرثونها من بعده كنزا مخبوءا ادخره لهم ، فجدوا فى البحث عنه بالحرث والتقليب الجاد الشاق ، يفعلون ذلك كل عام دون أن يعثروا على الكنز الموعود ، ولكن انتاج الأرض كان يكثر ويزداد فى كل عام بسبب مابذلوا من جهد فى خدمتها ، ثم علموا أخيرا أن هذا هو الكنز الذى أوصى به والدهم •

أيها المواطنون :

ان وطننا في حاجة ماسة الى مضاعفة الجهد لزيادة الانتاج ، وتوفير أسباب العيش الكريم لهذه الملايين المتكاثرة ، فشمروا عن ساعد الجد ، وانزلوا الى الميدان بحزم وعزم ، واعلموا أن قطرات العرق التى يندى بها جبينكم ساعة العمل ، هى حبات من لؤلؤ تضاف الى خزائن دولتكم ، وأن التنهدات التى تنطلق من صدورهم أنتم فى كفاحكم ، هى قوة وحياة لمجتمعكم •

تحركوا الى الأمام وأسرعوا الخطى ، جدوا واجتهدوا واجمعوا من الدنيا مااستطعتم ، وأنفقوها فى خير بلادكم • افهموا دينكم فهما

صحبحا ، وخذوا من تعاليمه مرشدا ودليلا ، واعلموا أن المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، فتقربوا اليــــه بالعمل فهو لايضيع أجر من أحسن عملا ، وخذوا فى الأسباب ولا تركنــــوا الى الكسل ، عيشوا كراما أعزة وارتقوا أسباب المعالى فى عزم وقوة ، وكونوا عند حسن الظن بكم فى وتبتكم الحاضرة .

لا تقــربوا النيــل ان لم تعملوا عملا

فماؤه العذب لم يخلق لكســــــلان

وفقنا الله جميعا الى مافيه الخير ، وحمى الوطن من كل سوء وشر ، ورفع شأن الأمة وأعز كلمة الحق ، **وسدد خطا المجــاهدين العاملين ، آمين والحمد لله رب العالمين .**



27

33

الثمـــن ٢ ص

مطابع شركة الاعلانات الشرقية